ميثولوجيا

أوتو رانك

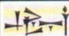
# أسطورة ولادة البطل

## التحليل النفسي للأساطير

ترجمة

حسن الأسدي





عنــوان الكتــاب: أســطورة ولادة البطــل - التحليــل النفســي للأساطير.
المؤلف: أوتو رانك
عن اللغة الانكليزية ترجمة: حسن الأسدي
التصنيف: ميثولوجيا
التصميم الداخلي: مؤسسة أبجد
تصميم الغلاف: وحي للتصميم
ISBN : 978 -9922-715-60-5
رقم الايداع في المكتبة الوطنية: 1037 لسنة 2024



الطبعة الأولى
2024
مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع
العراق – محافظة بابل – الحلة – شارع أربعين
جوال: 009647831010190
info@ebjed.com

أوتو رانك

# أسطورة ولادة البطل
# التحليل النفسي للأساطير

ترجمة
حسن الأسدي

# الإهداء

عائلتي...
كنزي... زوجتي
قرة العين... بناتي
شذرات النور ... حفيداتي واحفادي
انتم عين السعادة ساعة الهم
وترياق الشفاء حين الألم
بريق الأمل برهة الحياة.

# شكر وتقدير

ولابد من تقديم أجزل الشكر وأتم التقدير ومديد الامتنان الى:

- **السيدة أسماء البياتي:** لما أبدته من مؤازرة واجتهاد في كل ثنية من ثنايا هذا العمل.
- **الأخ الدكتور عماد جاسم :** لما كان له من تحفيز حين البداية ومساندة عند الاستمرار وملازمة حتى النهاية.

# المحتويات

# نبذة عن المؤلف

الاسم: أوتو رانك Otto Rank

الميلاد: 1884 – فينا

الوفاة: 1939 – نيويورك

الجنسية: نمساوي

الشهادة: دكتوراه في الفلسفة – جامعة فينيا

المؤلفات:

- الفنان
- اسطورة ولادة البطل
- الحاح فكرة زنا المحارم في الشعر والأسطورة
- صدمة الميلاد
- ما بعد علم النفس

كان كاتباً غزير الكتابة، محللاً نفسياً بارعاً، تبناه العملاق فرويد من الناحية العلمية وكان مقرباً منه على مدى عشرون عاماً، حقق نجاحاً مهنياً كمحاضر

وكاتب ومعالج نفسي في فرنسا والولايات المتحدة اضافة لبلده الأم النمسا. بعد صدور كتابه "صدمة الميلاد" الذي ناقض فيه مفاهيم فرويد اختلف مع الرجل وغادر عام 1924 الى باريس ثم الولايات المتحدة 1934.

# مقدمة المترجم

## "بـدون الترجمـة كنـا سـنعيش في أقـاليم تُطِـل عـلى الصمت"

## جورج ستاينر/ فيلسوف واديب أمريكي

لا يخفـى علـى القـاريء اللبيـب أهميـة علـم الترجمـة ودوره في التلاقح الفكري الـذي اوصل الانسانية اليوم الى ما هي عليه من تقدم علمي وتطور حضاري ضمن الفترة الزمنية التي تبدأ منذ نشوء الحضارة ولغاية اليوم، ولولا الترجمة لبقيت كل أُمة من الأمـم حبيسة نتاجها البحثي فقط ولكان على كل منها أن تبدأ من الصفر وبالنتيجة ما كنا وصلنا الى ما نحن عليه اليوم، فقد ترجم الأغريق علوم سومر وبابل وطوروها ثـم جاء العـرب المسـلمون ليأخـذوا نهايات العلـوم الأغريقيـة ويبنـوا مجـداً علميـاً مكّـنَ أوربـا والعـالم الحـديث ان ينطلق من قمتها ليشيد ما عليه زماننا من رقي وتقدم في كافة مجالات العلوم، جاء ذلك حسب أكثر الأراء بعد

سقوط الأندلس (*)" كما نلاحظ أنه مع تطور وسائل التواصل فأن سرعة وحجم هذا التلاقح الحضاري صارت أكبر وأكثر تأثيراً وما نشهده الآن من سرعة انتقال المعلومة عبر اصقاع المعمورة الا دليلاً على ذلك.

وانطلاقاً من هذه المسؤولية ولأننا أي العرب من شعوب الأرض الغير متقدمة والتي لا تملك كماً كافياً من مؤسسات بحثية ترجمية، الأمر الذي أصبحت عليه اللغة العربية اليوم لغة غير علمية بعد أن كانت قبل قرون قليلة مضت لغة العالم الأولى ومجرد تعلمها من غير العربي يمنحه منزلة علمية واجتماعية راقية، أقول حاولت ان أساهم على تواضع في هذا الميدان الذي ان وفقنا الله سنستمر به مع محاولة توسعته، أما أختياري لهذا الكتاب، فذلك يقومه اسباباً عدة منها: اننا اليوم نعيش حالة من الصراع الفكري على المستوى

(*) هناك رأي يقول ان بداية الانتقال الحضاري كانت عن طريق العلاقة بين بغداد وامارة فلورنسا ويتضح ذلك جلياً من تأثير نتائج بحوث الحسن بن الهيثم على الفن الايطالي في عصر النهضة.

الفردي والجمعي، صراع بين افكار الموروث الشرائعي ومخرجات التقدم العلمي على كافة المستويات ولعلنا في هذا الكتاب نحاول إنارة زاوية ولو صغيرة من هذا التناقض الثقافي، عدا عن أني وجدت ان عدد صفحات هذا البحث قليلة، ما رأيته يتناسب واهواء قراء المطبوع من الشباب هذه الايام، فقد أعتقد ان كتاباً تضاعف عدد صفحاته المئة يقل عدد قراءه بنسبة كبيرة خصوصاً لمن هم في مقتبل العمر من أبنائنا.

**والآن لو سألنا أنفسنا ما هي الأساطير؟**

للإجابة على هذا السؤال كان عليَ المرور على إستخدام هذه الكلمة ومفرداتها واختلافه بين الشرق والغرب، فإذا عرضنا الرأي الشرقي أولاً، وذلك ان الشرق (وتحديداً العراق) كان هو منشأ الأساطير ومصدرها الأول ولا غرو في ذلك فقد سبقت حضارته الحضارات الأخرى بما لا يقل عن خمسة قرون عدا عن ان الفاصل بين التاريخ وما قبله هي الكتابة التي ظهرت في العراق بحدود 3200 ق.م. وفي اللغة

العربية هناك فصل بين المعاني (المرادفات) المتعددة لكلمة الأسطورة والمرويات المشابهة لها، وهي [*]:

**الأسطورة:** هي تاريخ الآلهة متعددة أو منفردة بطلها إله أو شبه إله، وهي شعرية قصصية تسرد قصص وحكايات الآلهة قبل ان يخلق الانسان ثم بعده والشرط الأساس فيها ان تكون هناك آلهة وما لم توجد أو أنها خرجت عن الدين فهي ليست أسطورة بل ملحمة أدبية ومن أفضل نماذجها أسطورة الخلق البابلية (إنوما أليش) والتي أشتقت منها كافة الأساطير الأخرى.

**الملحمة:** وهي نوع من الأدب الراقي، تشبه الأسطورة في كونها شعرية قصصية أيضاً لكن البطل فيها ليس بإله، بل أنسان قوي له صلة بعالم الآلهة تسرد حكايات ابطال الشعوب الذين يشكلون رمزاً لهذه الشعوب وهي

---

(*) خزعل الماجدي، تاريخ الأساطير، الجزء الأول، محاضرة في اليوتيوب عام 2020.

ليست دينية ومن الأمثلة عليها أقدمها وأكثرها نموذجية هي ملحمة كلكامش السومرية الأصل البابلية التعريف كذلك الإلياذة والأوديسة لهوميروس وغيرها. وهي على نوعين الأولى شعبية تؤلفها الجماعة والأخرى ادبية يكتبها الأدباء.

**الخرافة:** وهي خيالات من الأدب الشعبي القديم ليس بالضرورة ان تكون شعرية وانما قد تكون سردية ايضاً وتتحدث عن الجن أو الأنسان المرتبط بالخوارق وهو ليس إله ولا علاقة لها بالدين سوى أنها مثقلة بالخوارق وهي موجودة في كل أداب الشعوب مثل السعلاة والغول والطنطل وغيرها.

**الحكاية الشعبية:** وهي أيضاً من النتاج الادبي الشعبي، يجب فيها ان لا تكون شعرية، بطلها انسان تدور حوله حكاية ما وهو ليس إله وليس خارقاً للطبيعة الأنسانية وغالباً ما تكون عبارة عن مرويات مجتمعية مثل حكايات الف ليلة وليلة وغيرها.

أما في اللغات اللاتينية سيما الانكليزية التي هي لغة العالم الأولى اليوم أو الألمانية وهي لغة كتابنا الأصلية فوجدت ان هذه المصطلحات لا يمكن الفصل بينها تعريفاً كما في العربية، وسأستعرض المعنى اللغوي لأهم الكلمات المميزة لعناوين سرديات علم الأساطير والتي أستخدمها مؤلف كتابنا على نطاق واسع:

**Myth: (ميث)**: كلمة أصلها غير معروف مشتقة من الكلمة (ميثوس) Mythos وتعني كل شيء يتم نقله عن طريق الفم وربما يرجع أصلها الى ما قبل العصر الأغريقي.

وهي قصص تتحدث عن كائنات الهية يتم ترتيبها بأسلوب متماسك، وتبجل على أنها حقيقية ومقدسة، يؤيدها الحكام والكهنة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين وبمجرد كسر هذا الارتباط ولا ينظر الى الممثلين في القصة كآلهة بل كأبطال بشريين أو عمالقة أو جن فلا تعد أسطورة بل حكاية شعبية، أما حينما يكون الممثل الرئيسي ألهياً ولكن القصة متواضعة فتكون النتيجة

اسطورة دينية وليست أسطورة [ ج – سيمبسون و أس. رود 1830، قاموس الفولكلور الانجليزي، 2000].

**Legend: (لَجِنْد):** مشتقة من كلمة (legenda) من اللغة اللاتينية في العصور الوسطى وتعني سرداً يتناول حدثاً أو مناسبة خاصة في حياة القديسين وأبطال الأمم، وكانت تقرأ في الصباح وفي غرف الطعام وفي دور العبادة الدينية، وبمعناها الأوسع هي القصة غير التاريخية أو الأسطورية مع أو بدون قديسين وعجائب ومعجزات [بارنهارت، روبرت. ك. قاموس بارنهارت لأصول الكلمات، أتش. دبليو. شركة ويلسون، 1988]، وتعتبر قصة تراثية تقليدية غير متحقق من صحتها تاريخياً رغم الاعتقاد الشعبي بها.

**Saga: (ساغا):** من الكلمة الأسكندنافية القديمة saga والتي تشبه الكلمة الانجليزية القديمة (sagu) معناها "قول مأثور"، وتدل على ملحمة اسكندنافية قديمة وطويلة جداً، وهي وصف روائي نثري لأحياء اثار

العصور الوسطى لأيسلندا والنرويج أما بمعناها الأوسع فهي "قصة طويلة ومعقدة".[بارنهارت، روبرت. ك. قاموس بارنهارت لأصول الكلمات، أتش. دبليو. شركة ويلسون، 1988].

**Fable: (فيبل):** سردٌ خيالي، من الكلمة اللاتينية "fabula" فابولا وتعني قصة مع درس، وفي مصطلحات الفولكلور الحديث يتم تعريفها على انها "حكاية كوميدية قصيرة توضح ركناً اخلاقياً حول الطبيعة البشرية، عادةً من خلال شخصيات حيوانية تتصرف بطرق انسانية. [قاموس اوكسفورد للفولكلور الانجليزي، 2000].

**Fairy tales: (فيري تيلز):** سرديات شفاهية تركز على المغامرات والتحولات السحرية ترجمت الى الانجليزية من الفرنسية بمعنى."حكاية خيالية" ايضاً، وهي تتحدث عن الجن والسحر وعادة ما تروى الى الأطفال. [بارنهارت، روبرت. ك. قاموس بارنهارت

لأصـول الكلمـات، أتـش. دبليـو. شـركة ويلسـون، 1988].

يبدو مما سبق أن هناك تفاوت بين الشرق والغرب في طريقة تصنيف المصطلحات عدا عن الأختلاف في شروط التركيب البنيوي لكل مروية اذ تقول الاستاذة ماي اليزابيب بيرغ من الجامعة النرويجية للعلوم والتكنولوجيا، في رسالة لها في المؤتمر الحادي عشر للأساطير/ مدينة سيدني ما نصه (*): "سأقول فقط انه على الرغم من ان الأسطورة والشعر ينتميان بطريقة ما الى نفس لغة الخطاب الخيالي، الا أنني أراهما لغتين لهما وظائف سميولوجية (علم العلامات) مختلفة، وفي حين ان الأسطورة هي نتاج ثقافة كاملة، فهي نتاج جماعي، والشعر بأعتباره فناً هو تعبير فردي". يتبين منه عدم اشتراط ان تكون الأسطورة شعرية بقدر ما يكون شرطها الوحيد هو سرديتها لقضية الآلهة فقط، هذا عدا عن امكانية ملاحظة ان هناك خلطاً نوعاً ما بين

(*) رسالة السيدة بيرغ في المؤتمر الذي عقد من الفترة 2-7 تموز، 2000.

التعاريف الغربية للأسطورة ومروياتها المشابهة، كان ذلك واضحاً في لغة تأليف الكتاب التي استخدم فيها المؤلف تلك التصنيفات بنوع من الخلط، بينما التعاريف العربية لعناوين هذه المرويات تضع شروطاً صريحة نستطيع من خلالها تصنيفها بطريقة أوضح وبدقة اعلى وربما كان ذلك بسبب الفارق الزمني لولادة هكذا نوع من الفن الأدبي بين الشرق والغرب فأقدم مصطلح من التي استعرضناها باللغة الانجليزية كان قد استخدم في القرن الرابع عشر مشتقاً من كلمات مشابهة من لغات أخرى ربما أقدمها الاغريقية.

وما زلنا في فقرة المصطلحات، ارتأيت توضيح ترجمة احد المصطلحات الذي تكرر بكثرة في الكتاب الا وهو كلمة (exposure) بالإنجليزية و(aussetzen) بالنسخة الألمانية ولكلا الكلمتين مرادفات عديدة في اللغة العربية منها، التعريض، الكشف، الهتك، التخلي، في الوقت الذي جاءت في الكتاب بمعنى وضع الطفل في مكان أو موقف يتعرض من خلاله لخطر الموت كرميه في البراري أو وضعه في سلة أو صندوق ورميه

في الماء والقصد من وراء ذلك كله التخلص من الطفل او جعله يموت دون قتله بشكل مباشر. وأعتقد ان أفضلها هو كلمة (التعريض) التي استخدمتها لتعطي نفس الدلالة التي يقصدها المؤلف مع أختلاف حالاتها ففي النهاية هناك طفل يتعرض لخطر الموت بغض النظر عن الأسلوب الذي يتم به ذلك. أيضاً هناك مصطلحات لا يزيد عددها عن اصابع اليد الواحدة تدخل في اختصاص الطب النفسي ما أضطرنا ان نستأنس برأي الأخصائيين بذلك.

لا أذيع سراً في أني واجهت مهمة ليست بالسهلة (كما يواجها اي مترجم على ما أعتقد) في الموازنة بين مسؤولية الأمانة العلمية في التعامل مع النص ومحاولة نقل المعنى الذي ابتغاه المؤلف في تدرجه بطريقة بحثه وبين محاولة صياغة النص بما يتساوق واظهاره بلغة عربية انسيابية متناسقة، ومن عمل في هذا يعرف ان لكل لغة خصوصياتها وروحيتها التي تتميز بها عدا عن انفرادها بطريقة التعبير دون غيرها من اللغات، نعم هناك تقارب في ذلك بين اللغات التي تنبع من منشأ

واحد كاللاتينية مثلاً، لكن للغة العربية ميزاتها التي تجعلها ربما تنفرد من خلالها بين اللغات العالمية الأخرى فهي كما نعرف واسعة القواعد كثيرة المفردات متعددة المرادفات بشكل ربما لا يوجد في لغة أخرى، الأمر الذي يفرض التعامل مع موضوع الترجمة منها واليها مسؤولية إضافية قد يستطيع المترجم توفيرها فيما لو كان الموضوع يتراوح بين الانجليزية والألمانية مثلاً. كذلك فأت النسخة الانجليزية من الكتاب كانت بأصدار في الولايات المتحدة الامريكية ومن يعرف اللغة الانجليزية يعلم جيداً بأن الأمريكان لا يبالون كثيراً بقواعد اللغة كما هم الانجليز الذين هم منبع هذه اللغة وهم من يطورها مع الزمن.

إستعان المؤلف بنصوص من الإنجيل بعهديه القديم والعهد الجديد في وصفه لقصص ولادة بعض الأنبياء التي تناولها، وآثرت في هذه الحالة الأستعانة بالترجمة العربية المعتمدة من قبل الكنيسة لهذا الغرض دون محاولة ترجمتها بنفسي احتراماً للقراء ممن ينتمون الى الديانة المسيحية لأنهم يعتبرونها نصوصاً مقدسة وبعد

التشاور مع أحد الأخوان العارفين من الطائفة المسيحية اعتمدنا ترجمة الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، تلك الترجمة التي يقرأها جميع المذاهب والملل المسيحية في الدول العربية الا بعضاً من القِلَة القليلة التي لها نصوصها الخاصة وبهذا فأننا ذهبنا مع الرأي العام للأكثرية الساحقة لتعذر ذكر أكثر من ترجمة للنصوص الواردة في الكتاب، وبهذا الصدد عملت على ترجمة النص الخاص بسرجون الأكدي كذلك ترجمة حرفية لأنها نصوص آثارية كان لها في زمنها وقعاً خاصاً في نفوس الناس، أضف الى الهالة المقدسة التي كانت تعطى لملوك وأباطرة ذلك الزمان عدا عن حفظ خصوصية النصوص المسمارية الآثارية وأظهارها بالطريقة التي كتبت بها والتي تناسب الذوق لزمانها وتساوقها مع روح ذلك العصر.

وبمناسبة القدسية التي تضفى على بعض النصوص والشخصيات التاريخية فقد تعرض المؤلف الى ذكر قصة ولادة ثلاثة من الانبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم الكتاب المقدس للأسلام الذي أنتمي

إليه كمترجم وبهذا الصدد تعرضت الى ترجمتها كما وردت من قبل المؤلف التزاماً بالأمانة العلمية واستبقاءاً لروح البحث وصوناً لأسترسال مؤلفه في طرح الفكرة التي يريد، لكن ذلك لا يعبر بالضرورة عن قناعتي الشخصية بما ورد بهذه النصوص سيما ما كان يتعارض منها مع النص القرآني، لكن اعتقد أنه ليس من حقي تحريف تلك النصوص أو حتى تجاوزها وعدم ذكرها في الترجمة يقابل ذلك حق المترجم علي كأنسان أن التزم بما كتبه اضف الى أننا نعيش في عصر الحرية الفكرية وعولمة الفكر ولست من دعاة حجب الأفكار حال عدم ايماني بها بل ان من حق الفرد كما أظن ان تكون له الفسحة في الأطلاع على كافة الثقافات وتبني ما كان مناسباً منها لفكره وبيئته وتربيته عدا عن ان الأطلاع على هذه النصوص ليس محصوراً بترجمتي هذه بل هو متاح لكافة الناس ومنذ قرون طويلة خلت.

وبصدد الحديث عن الشخصيات التي وردت سيرها في الكتاب فهناك قصة يرويها المؤلف عن شخص أسمه "كلكامش"، يظهر من قراءتها ان ليس لها اية

علاقة بملحمة كلكامش المعروفة والتي تعتبر كما ذكرنا - أصل الملاحم في التاريخ - فهو يروي الملحمة عن شخص اسمه ايليان عاش سنة 200 م بوقت متأخر جداً عن كلكامش اضف الى انه يتحدث عن عرافين وكهنة من الكلدان وفي منطقة البابليين ثم يقول انه تم رمي الطفل من أعلى قلعة المدينة (Akropolis) (*)، ثم يختم القصة بأن كلكامش اصبح ملكاً على بابل، عدا عن ان القصة مقتضبة جداً لا تتناسب وما نعرفه عن ملحمة كلكامش، لكنه ولحسن الحظ يقول في ختام القصة "لو أن شخصاً اعتبر هذه القصة خرافة، فليس عندي ما أقوله".

يظهر من خلال قصة كلكامش ومن فقرات أخرى في الكتاب ان معلومات المؤلف حول الشرق وتاريخه ليست بالمستوى الذي يتناسب مع مكانته العلمية، أو ربما يتماشى ذلك مع توجه الفكر الغربي سيما في

---

(*) استخدم المؤلف لفظ (Akropolis) للدلالة على قلعة المدينة وهذا المصطلح كان يستخدم في مناطق اليونان اذ كانت تبنى قلعة على اعلى مرتفع في المدينة يلجأ اليها اهل المدينة حال حصارهم أو نشوء حرب وذلك لا يتناسب مع الطبيعة السهلية لمنطقة بابل.

عصر النهضة في تجاهله للشرق ونتاجه العلمي بالشكل الظاهر وإعتماده في الباطن بشكل كبير على مخرجات الثقافة البابلية أو الأشورية أو العربية الاسلامية على التوالي فكم من المخترعات العلمية البابلية نسبت الى الإغريق بلا وجل، خذ مثلاً نظرية فيثاغورس التي سبقه بها البابليون بقرون عدا عن الكثير من الاكتشافات العربية الأسلامية التي نسبت الى علماء غربيين دون الاعتراف بسبق العرب بذلك والدورة الدموية للأنسان ليست الوحيدة، ربما اطنبت بعض الشيء في هذه النقطة لكني فعلاً متفاجيءٌ من النص الذي ورد تحت عنوان "كلكامش".

استخدم المؤلف حواشي ليست بالقلية، جاء بعضها إضافة لذكر المصادر التي استعان بها بمادة سردية اضافية تدعم الفكرة التي يذهب اليها في متن الكتاب وهذه الحواشي كانت تغني البحث بمادتها، سوى ان المصادر التي ذكرها المؤلف ربما يصعب على القاريء العودة اليها بسبب قدم زمن تأليفها وطباعتها، لكنها مع ذلك غير متعذر، هذا من جانب ومن جانب آخر رأيت

أني كنت مضطراً لإضافة بعض الحواشي التوضيحية لقسم من الاسماء والمصطلحات التي استخدمها مؤلف كتابنا لتسهيل المهمة على القاريء في البحث عن أصل بعض تسميات مدن وأقوام تاريخية ذكرت في البحث، ولأجل الفصل بين حواشي المؤلف والمترجم سنقوم بوضع علامة (*) قبل حاشية المترجم لتفريقها عن حواشي المؤلف التي ستأخذ رقماً فقط.

لو مررنا وبأقتضاب على التعريف الأصطلاحي لكلمة "الأسطورة" وهي المحور الأساس لموضوع الكتاب فقد لا نجد اتفاقاً عاماً على تعريف ما هي الأسطورة إذ تفاوت ذلك بين الانثربولوجيا (علم الأنسان) والميثولوجيا (علم الأساطير) وكذلك الفلسفة وعلم الاجتماع فكل كان ينظر لهذا الشكل من اشكال الادب الرفيع من منظوره الخاص، حتى أنه يروى عن القديس أوغسطين انه قال في محاولة تعريف الأسطورة تعريفاً جامعاً: "إنني أعرف جيداً ما هي الأسطورة، بشرط ان لا يسألني أحدٌ عنها، ولكن اذا ما سئلت واردت الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ" (كارم محمود،

اساطير العالم القديم، ط 1، 2007، مكتبة النافذة)، عدا عن ان العلم الذي يعنى بالأساطير "الميثولوجيا" هو حديث التأسيس اي في القرن التاسع عشر، ولو أخذنا بتعريف مدرسة التحليل النفسي التي ينتمي لها مؤلف كتابنا والتي تجعلها حسب فرويد شبيه الحلم أو أنها ربما تدل على اعراض لأمراض نفسية تعطي من خلالها رموزها اللاشعورية وتمثل قوى تتحكم في مسيرة الفرد وسلوكه الأجتماعي، اما ايرك فروم فيخالف تلك النظرة في جزئية اللاشعور اذ يعتقد ان العقل انما يعمل ويفكر اثناء الحلم ولكن بطريقة شعورية أخرى وبلغة رمزية (احمد اسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام، ط1، 2005، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد).

وبصورة عامة ومن خلال الرؤية النفسية فالأسطورة هي نتاج لمعاناة نفسية فردية أو جمعية كذلك هي محاولة الانسان أو المجموعة لتفسير الظواهر الخارقة والغيبية التي واجهها ولم يستطع عقله المادي التوصل اليها مثل قضايا بدء الخليقة والحياة والموت واشكالية

الحياة الأخرى وما عداها من الظواهر الكونية التي ربطها الانسان بالغيب في محاولته السيطرة على قوى الطبيعة وايجاد اجوبة للتساؤل والتعجب والتأمل الذي أشغله في رؤيته لهذه الظواهر وما لجوئه الى التعاويذ والسحر والطقوس الا تناغماً مع ردة فعله تلك بل ربما هي نتيجة لها.

فلو آمننا بحاجة الأنسان في بداية الحضارة الى الأسطورة لتفسير الغموض الذي يحيط بعالمه وان ذلك كان أقصى ما توصل إليه من العلوم في محاولة تنظيم وتبسيط أموره الحياتية فهل إنتهى يا ترى اليوم عصر الأسطورة؟ بعد هذا التقدم العلمي الكبير قياساً ببداية الحضارة؟ فبينما لم يملك إنسان ذلك الزمان سوى عينه المجردة يراقب بها السماء وافلاكها ونجومها ولم يستطع تفسير حتى الظواهر المناخية مستعيناً بغير نظره وإمكانيته العقلية، نجد أننا اليوم في عصر التلسكوب الليزري والمحطات الفضائية والأقمار الصناعية التي ساعدت على جعل تلك الظواهر الكونية

مسائل يمكن لطالب لم يكمل تعليمه الابتدائي ان يجيب عليها فهل لا زالت الأسطورة قائمة اليوم؟

يبدو ان الأسطورة لا زالت حاجة اجتماعية نفسية تلجأ اليها شرائح مختلفة من المجتمع على الصعيدين الفردي والجمعي تحقيقاً لغايات متباينة منها عقدية وسياسية واقتصادية وحتى قومية، والمفارقة اني لاحظت ذلك الأمر فاعلاً في الشرق كما هو في الغرب الذي يغلب عليه الطابع المادي بدرجة كبيرة، مع الملاحظة ان الأمر نسبي بين الجهتين، ومن طريف ما أذكر وكمثال على الجانب العقائدي، انني وحين كنت أسكن مدينة برلين وفي اليوم الأخير من عام 1999 لاحظت أن معظم محطات التلفزيون الألمانية كانت تتحدث عن امكانية حصول "يوم القيامة" في اليوم التالي أي أول يوم من سنة 2000، بعضهم يطرح الموضوع متسائلاً عن فرصة ذلك، والآخر يستعرض النبوءات القديمة حول نهاية العالم في هذا اليوم حتى يكاد المشاهد يصدق ما يحدث من عِظم اهتمام تلك القنوات بالموضوع، وحقاً لقد عَجبتُ من ذلك وقتها

ايما عجب. لذا يظهر ان الجانب العقدي الاجتماعي لازال يؤمن بالنبوءة والملحمة والغيب، قد يكون ذلك مواساة لما يشعر به الأنسان من الظلم سواء على المستوى الشخصي أو المجتمعي، فلازالت العدالة الاجتماعية التي دعت اليها كافة النظريات السماوية والوضعية وتبنى تأسيسها – وان بطرق متفاوتة – العديد من المفكرين والفلاسفة والباحثين ولقرون مضت، نعم لازالت غير مكتملة التطبيق مع تفاوت ذلك بين الدول المتقدمة وتلك التي لا زالت ترزح تحت وطأة الحكم العائلي أو الفردي أو الديني، ما يحث الانسان على البحث عن العدالة التي ينشدها في ثنايا خبر غيبي أو ملحمة بطولية أو حتى حكاية خرافية. استثمر هذا الأمر العديد من الشركات الإعلامية التي خاطبت تلك الحاجة الانسانية من خلال أصدارات حققت ارباحاً خيالية فمثلا:

1. نجد ان مطبوعات مثل "هاري بوتر" و "صراع العروش" وما على شاكلتها حققت اعلى ارقام مبيعات الكتب في الولايات المتحدة الأمريكية

وهـي روايـات أبطالهـا اشـخاص ملحميـين وربمـا خرافيين واحداثها تقع في أجواء وأماكن لا تنتمي الى طبيعة العالم الذي نسكنه.

2. افـلام الخيـال العلمـي (Sci-Fi) التـي تنتجهـا هوليوود حققت اعلى ارباح الأفلام على مر التاريخ السينمائي منذ تأسيسه وأكثر هذه الأفلام مأخوذة من الروايات التي ذكرناها سابقاً، وهي كذلك تصور حياة ونضال أشخاص ملحميين غير واقعيين حتى ان شـركة (Marvel) مثلاً جسـدت وبكـل صـراحة شخصية إلهيـة تسـمى (Thor) ثـور قالـت انـه ابـن الإله اودين (إله الشعوب الإسكندنافية القديم) ينزله من السماء الى الأرض.

3. أما في الشرق ومع ارتفاع نسبة الظلـم الاجتمـاعي فقـد نـرى ان الشخصيات البطوليـة (أفـلام بوليـوود الهندية مثلاً) تتكرر ليس في أفلام الخيال العلمي فقـط وانمـا حتـى فـي أفـلام الإثـارة والـدراما والجريمـة، مـا يعطـي الأنطبـاع بـأن الحاجـة الإجتماعية للبحث عن المنقذ الذي يبسط العدالة

تجد مطلباً أكبر لها شرقاً، الأمر الذي يدعوا الشركات الإعلامية هناك الى زيادة مساحة الخيال الانتاجية على حساب الواقع لإشباع الحجم الأكبر للرغبة الجمعية أو الفردية للعدالة.

لا يخفى على القاريء بأن هذه الشركات المنتجة تضع تحقيق أعلى قدر من الأرباح كأحد أولوياتها وذلك لا يتحقق الا من خلال زيادة المبيعات أو زحمة شباك التذاكر الذي يتناسب طردياً مع الحاجة النفسية عند القاريء أو المشاهد لهكذا مطبوعات أو أفلام، ما يدعونا الى الأستنتاج بأستمرار حاجة المجتمعات الى الملحمة والأسطورة ومروياتها المشابهة، بل ان ذلك يدخل تحت عنوان صناعة الأسطورة في الوقت الحاضر وليس الحاجة لها فقط. هذه الصناعة التي تبنتها شركات تجارية حسب ما ذكرنا، استغلتها فئات أخرى من المجتمع بغية تحقيق مكاسب شخصية معنوية عدا عن المردود الاقتصادي، ولو أوجزت هؤلاء فقد أضعهم تحت الأصناف التالية:

1. الأسطورة التي يصنعها قادة المجتمع حول أنفسهم كالقادة السياسيين والدينيين والقوميين والمجتمعيين وذلك طلباً لمنصب القيادة أو احتفاظاً به أو رفعاً لشأنهم ومكانتهم القيادية ويلاحظ ان معظم هؤلاء قد حازوا على هذه المواقع بطرق غير شرعية أو قانونية الأمر الذي يولد عندهم مرضاً نفسياً اضافة لما يعانون منه يجعلهم شرهين في التمسك بما هم عليه والأحتفاظ به مدى الحياة، واذكر هنا مثالين:

- تحتمس الرابع احد فراعنة مصر الذي فاز في تنافسه مع أخوته الأربعة على عرش مصر بعد ابيهم امنحوتب الثاني مستثمراً القصة التالية: أنه وحين كان في رحلة نزهة وبعد أن تعب أخذته غفوة بين يدي تمثال ابي الهول الذي أخبره في المنام بأنه سيتولى عرش مصر بعد أبيه كان ذلك عام 1400 ق.م تقريباً (المصدر – وكيبيديا عن تقرير من الـ بي. بي. سي العربية في 7.تشرين الثاني. 2017)

واليوم هناك لوحة في متحف لندن تسمى لوحة الحلم توثق هذه الحادثة.

- مرة وفي عام 2003 عندما كنت منخرطاً في العمل السياسي حدث ان كلفني احد ابرز القادة في العراق باللقاء بالقائم بالأعمال الألماني في بغداد كوني وزميل لي نتقن اللغة الألمانية، واثناء اللقاء طرح الألماني فكرةً ثمينة، الا وهي ان المانيا تخطط يومها بالإعداد لأنضمام العراق الى السوق الأوربية المشتركة حال أستقرار الوضع السياسي فيه، ما دعاني الى ان أطلب لقاء خاصاً بذلك السياسي العراقي فيما بعد لأوجزه حول مجريات اللقاء مركزاً على رؤية الألمان المفيدة للعراق، واثناء حديثي معه لاحظت عدم أهتمامه ثم ما فتيء ان نظر في عيني بأبتسامة باهتة فتوقفت عن الكلام مستفسراً بنظراتي واذا به يفاجئني قائلاً: أسمعت خطابي يوم أمس في مدينة الناصرية؟ (الرجل كان قبل يوم في تجمع جماهيري هناك) أستمر صمتي منصتاً، واذا به يقول: كنت أشعر بأنني لم أكن

المتكلم وانما كان هناك من يُنطَقني الكلمات، فالرجل لم يكتفِ بالافتخار "بروعة" حديثه وإنما تخيل أو أدعى ان قوة غيبية إلهية وحيانية كانت من تجعله يتكلم.

وهكذا من المصري امنحوتب الرابع الى صاحبنا العراقي تستمر صناعة الأسطورة في مجتمعاتنا وهؤلاء هم من يحيكون أساطير حول أنفسهم يلعبوا بها أيضاً على مشاعر الخوف واحاسيس الأمان المتزعزعة لدى الناس الذين جاءوا ليخدموهم حسب ما يدعون.

2. اسطورة تخلقها الجماعة من أتباع القادة في الصنف الأول لإضفاء هالة من القدسية والعظمة حولهم وفي تقديري ان الدافع النفسي وراء هذا النوع يختلف عن الأول كونهُ جمعي أولاً إضافة الى وجود ذلك الإحساس بالدونية الموجود عند أفراد تلك الجماعة لذا يلجأ الى مجاولة أضفاء الكمال – الذي ينشده شخصياً – على رمزه وقائده حتى يصيبه نصيباً من التكامل النفسي والأخلاقي بسبب

إنتمائه له وكم من الأمثلة تدور في ذهن القارىء الآن حول هذه النقطة فلنتذكر ان بعضاً من الجماعات ادعت رؤية صورة قائدها في القمر وبعضهم أضفى على قادته مرتبةً علمية لا يصل لها المرء في دراسته الأكاديمية ولو بأرفع جامعات العالم بل ان البعض منهم حُرفت في سبيلهم حتى المباديء العقدية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى في هذه المقدمة.

لو تطرقت الى المؤلف بعد هذا العرض المتواضع أقول أنه يحمل الدكتوراه في الفلسفة كاتباً غزير الكتابة، محللاً نفسياً بارعاً، زميلاً مقرباً للعملاق سيغموند فرويد على مدى عشرين عاماً، حقق نجاحاً مهنياً كمحاضر، وكاتب، ومعالج نفسي في فرنسا، والولايات المتحدة اضافة لبلده الأم النمسا (الإمبراطورية النمساوية المجرية).

وأخيراً عزيزي القاريء وعوداً على بدء مقدمتي هذه حين تساءلتُ لماذا هذا الكتاب؟ الآن وبعد أكتمال هذه المقدمة، أجد ان دواعي كثيرة تمتاز بالمعرفة والتشويق

والجمال تدعوا الى أضافة فريدة مثل هذه الى مكتبتنا العربية وإني ادعوك ان تذهب معي في هذه الرحلة الممتعة الغير طويلة في ثنايا هذا البحث المتميز لنكتشف سوياً دعائم الفن الأدبي الأسطوري ثم نرى كيف يضيء المؤلف نقاط الغموض وهو يغوص في اعماق النفس البشرية وفي ثنايا اللاشعور ليخرج لنا تفسيراً يساعد على قراءتها من زاوية أكثر اشراقاً لنكون على الجادة الأصوب حين نقرأ التاريخ وادبياته ومروياته ثم نقيمها حق تقيمها لتصبح لنا عبرة ودروساً حقيقية ونافعة.

**فهلا أعطيتني قليلاً من وقتك الثمين؟**

**المترجم**
**حسن الأسدي**

# المقدمة

ان الشعوب المتحضرة البارزة مثل البابليين والمصريين والعبرانيين والهندوس وسكان ايران والفرس واليونانيين والرومان كذلك الجرمان وغيرهم، جميعها بدأت وفي مرحلة مبكرة بتمجيد ابطالها، الأمراء الأسطوريين والملوك ومؤسسي الأديان أو السلالات الحاكمة والإمبراطوريات أو المدن وذلك بإيجاز سيرة أبطالهم الوطنيين في عدد من الحكايات الشعرية والملاحم. لقد أصبح تاريخ ولادة هذه الشخصيات ونشأتهم المبكرة موظفاً بشكل خاص من خلال ملئه بملامح أسطورية تلك التي تعرض لنا تشابهاً محيراً أو تطابقاً حرفياً في بعض أجزائها رغم اختلاف هذه الدول، أو حتى تباعدها الجغرافي الواسع واستقلاليتها الكاملة عن بعضها البعض. لقد أثارت هذه الحقيقة انتباه العديد من الباحثين منذ فترة طويلة، ولا تزال احدى الإشكالات الرئيسية في البحث الأسطوري تتمثل في شرح سبب التشابه الشمولي في الخطوط

العريضة الأساسية للحكايات الأسطورية، والتي تبقى تقدم لنا غموضاً أكثر من خلال اجماعها على تفاصيل معينة وتجدد ظهورها في المجموعات الأسطورية. [1]

أما النظريات الأسطورية التي تهدف الى تفسير هذه الظاهرة اللافتة للنظر فهي بشكل عام كما يلي:

1. "فكرة البشرية" (الانسانية)، التي طرحها أدولف باستيان[2] عام 1868. تفترض هذه النظرية وجود "أفكار أساسية"، بحيث ان هذا الاجماع في الأساطير هو تسلسل ضروري للتصرف الموحد للعقل البشري، وطريقة تعبيره والتي في حدود معينة، تكون متشابهة في كل الأزمان والأماكن، ولقد دافع ادولف باور (1882)[3] بإصرار عن هذا

---

(1) يمكن إيجاد استعراض وافي وشامل للنظريات العامة لعلم الأساطير والمدافعين الأساسيين عنه في كتاب فونت "علم النفس الشعبي"، ج2، كذلك "الأساطير والدين"، ف 1، صفحة 527 [لايبزج 1905].

(2) "الثابت في الأجناس البشرية ومتقلباتها ومتغيراتها"، برلين 1868.

(3) "ملحمة فورش وإشكالاتها"، سيتز، فيينا، أكد، 1882، صفحة 495.

التفسير بإعتباره مسؤولاً عن الانتشار الواسع لأساطير الأبطال.

2. التفسير بواسطة نظرية "المجتمع المبتكر"، تم طرحها لأول مرة من قبل ث. بينيفي (الفصول الخمسة، بنجاتنترا)[*]، وهي مجموعة من الصيغ المتشابهة من الحكايات الفولكلورية والخيالية. أُلِفت في منطقة مناسبة (الهند)، هذه الحكايات تم تقبلها أولاً من الشعوب ذات الصلة ابتداءاً (اي الشعوب الهندو – جيرمانية)، ثم استمرت في النمو بينما احتفظت بسماتها الأساسية المشتركة، وفي النهاية انتشرت عبر الأرض كلها. هذه الرؤية من التفسير اعتمدت أولاً من قبل رودولف شوبرت (1890)[4] في رؤيته للانتشار الواسع لأساطير الأبطال.

---

(*) كتاب يتضمن مجموعة القصص والمواعظ ألفه الحكيم بيدبا في القرن الرابع الميلادي.

(4) شوبرت "وصف هيرودتس لملحمة قورش"، بريسلاو، 1890.

3. النظريـــة الحديثـــة للهجـــرة أو الأقتبـــاس: والتـــي بموجبها كُتبت الأسـاطير الفردية مـن قبـل شـعوب محددة (خاصة البابليين) وتقبلتها الشعوب الأخرى مـن خـلال التقاليـد الشـفاهية (بواسـطة التجـارة والمرور)، أو من خلال التأثيرات الأدبية [5].

من الممكن التبين وبسهولة ان النظرية الحديثة للهجرة والأقتباس كانت مجرد تعديل على نظرية بينيفي، وهذا ما استوجبتهُ الاكتشافات الحديثة وموادها التي لا تقبل تفسـيرين. لقـد أظهـرت الدراسـة العميقـة والمكثفـة للأبحـاث الحديثـة ان بابـل هـي التي، يمكـن اعتبارهـا المـوطن الأول للأسـاطير وليسـت الهنـد، عـلاوة علـى ذلـك فـأن الحكايـات الأسـطورية لـم تنتشـر مـن نقطـة واحدة وانما سافرت على طول وعرض الكرة الأرضية المأهولة بأكملها. وهذا ما يبرز بوضوح فكرة الترابط بين الهياكل الأسطورية، تلك الفكرة التي عممها براون

(5) أنظر أي. شتوكين "الأساطير النجمية"، لايبزج، 1896-1907، خاصة الفصل 5، الخاص بموسى، كذلك هـ. ليسمان "ملحمة قورش في أوربا" مساهمة علمية للتقرير السنوي الخاص بمدرسة شارلتون بورغ الثانوية" 1906.

(1864)[6] ، على انها القانونِ الأساسي لطبيعة الفكر البشري: الذي يقول لا يتم اكتشاف شيئاً جديداً على الأطلاق طالما كان من الممكن تقليده. ان نظرية الأفكار الأولية والتي تبناها باور بقوة منذ أكثر من ربع قرن مضى، تم رفضها دون قيد أو شرط من قبل أحدث الباحثين (فنكلر[7]، ستوكن)، الذين دعموا نظرية الهجرة والاختلاس.

في الواقع ليس هناك تناقضاً حاداً بين النظريات المختلفة ودُعاتها لأن نظرية الأفكار الأولية لا تتعارض مع شروط مصطلح الحيازة الأولية كذلك الهجرة، علاوة على ذلك، فأن المشكلة الأساسية هي ليست من أين وكيف وصلت المادة الى جماعة معينة، ولكن السؤال هو: "من أين أتت في الأصل أو من أين بدأت؟" كل هذه النظريات لا تفسر لنا سوى التباين والتوزيع، ولكن ليس منشأ الأساطير الأصلي. حتى

---

(6) "التاريخ الطبيعي للأسطورة" يتتبع كافة الملاحم والقيم الدينية ويرجعها بانتظام الى أصلها العائلي المشترك، وجذورها الاساسية، ج2، ميوتيخ، 1864-65.

(7) بعض اراء فنكلر المهمة سوف يتم ذكرها في هذا الكتاب.

شوبرت وهو المعارض العنيد لوجهة نظر باور، يعترف بهذه الحقيقة بالقول، ان كل هذه الملاحم المتنوعة تعود الى نموذج اولي واحد قديم جداً. لكنه لم يتمكن من أخبارنا شيئاً عن أصل ذلك النموذج الأولي. باور كذلك يميل الى وجهة النظر الوسيطة هذه[8]، ويشير مراراً وتكراراً الى انه رغم تعدد مصادر هذه الحكايات واستقلاليتها، فمن الضروري الاعتراف بعملية اختلاس متشعبة واسعة النطاق، بالإضافة الى وجود مجموعة أساسية من المفاهيم، في الشعوب ذات الصلة. كذلك يدعم ليسمان نفس هذا الموقف الاسترضائي، في منشور حديث له (1908)[9]، حيث يرفض فيه افتراض الأفكار الأساسية، لكنه يسَلِم بأن العلاقة الأولية والأختلاس ينطوي احدهما على الآخر، وكما اشار فونت، انه يجب الأخذ في نظر الاعتبار ان الأستيلاء على المحتويات الأسطورية يمثل دائماً الهيكل

(8) مجلة الأعدادية النمساوية، 1891، صفحة 161 وما يليها، تعليق شوبرت يمكن ايجاده أيضاً فيها، صفحة 594 وما يليها.

(9) ليسمان "دوافع وَهدف البحث الأسطوري"، المكتبة الأسطورية، 1، المجلد الرابع، لايبزج.

الأسطوري في ذلك الزمان، لأن ذلك ما تم استبقاءه الى الأن والذي يتوافق مع مرحلة الفكر الأسطوري للمختلس. فلن تكون الذاكرة الباهتة للسرديات الواصلة الى مجتمع ما كافية لإعادة تشكيل نفس المادة دون حضور مستمر لدوافع ضمنية. ولهذا السبب تحديداً قد تنتج هذه الدوافع محتويات جديدة تتوافق في دوافعها الأساسية، حتى في حالة عدم وجود أواصر مشابهه (فولكر، علم النفس، ج2، ف 3، 1909).

لو تركنا في الوقت الحالي التحقيق في طريقة انتشار هذه الأساطير جانباً، فيجب علينا وبشكل مجمل التحري عن أصل اسطورة البطل، مع التوقع التام ان نظرية الهجرة والاقتباس، سوف تبرهن على انها يمكن اثباتها مباشرةً وبشكل مؤكد الى حد ما في عدد من الحالات، وفي حالة كون ذلك غير ممكناً، فلابد من التسليم بوجهات النظر الأخرى، على الأقل حالياً، بدلاً من عرقلة الطريق لمزيد من التقدم في البحث كما هو

فنكلر[10] في موقفه غير العلمي الى حد ما اذ يقول: " عندما يكون هناك تجانس تام بين البشر ومنتجاتهم، تلك التي وُجِدت في اجزاء نائية من الأرض، فيجب ان نستخلص انها جالت بعيداً عن مكانها، ولا يشكل فرقاً في افتراض هذه الحقيقة، ان كانت لدينا معرفة بكيفية ووقت تلك الهجرة من عدمها، وحتى مع التسليم بهجرة جميع الأساطير، فلا يزال يتعين علينا تفسير مصدر الأسطورة الأولى"[11].

ان البحث على هذه الشاكلة سيساعد بالضرورة على إتاحة نظرة أعمق في محتويات الأساطير، وتقريباً فأن جميع الكتاب الذين عكفوا حتى الأن في تفسير أساطير ميلاد الأبطال، وجدوا فيها تجسيداً لعمليات الطبيعة متبعين النمط السائد للتفسير الطبيعي في علم الأساطير. فالبطل المولود حديثاً هو الشمس التي

---

(10) فنكلر "الثقافة الروحية البابلية وتأثيراتها في التطور الحضاري الإنساني"، العلم والثقافة، الجزء 15، صفحة 47، 1907.

(11) من الطبيعي أننا لن نضيع وقتاً حول السؤال العقيم عن ماهية الأسطورة الأولى، لأنه من المحتمل جداً ان هذا لم يحدث أبداً، اذ لم يكن هناك سوى "أول زوجين بشريين".

تشرق مرتفعة من المياه، التي تواجه في بدايتها سحباً مُدلهمـة، ولكنهـا تنتصـر أخيـراً علـى كـل العقبـات [بروبيك، زرادشت، لايبزج، 1893، صفحة 138]. أن الأخذ بجميع الظواهر الطبيعية وبصورة رئيسية الظواهر الجوية بعين الاعتبار كما قام بذلك أوائل من مَثل هذه الطريقة في تفسير الأسطورة(12). أو النظر الى الأساطير برؤيـة أكثـر قصـوراً، مثـل الأسـاطير الخاصـة بـالنجوم [سـتوكن، فنكلـر وآخـرون]، رؤيـةٌ لا تمتـاز بالتكامـل والاستقلالية، مثلما يظن أنصار كل من تلك التيارات الفردية كما انه لا يبدو التفسير الشمسي البحت والذي لـم يعد مقبـولاً - اتجاهاً مستقلاً متكاملاً كالذي تبناه فروبينيوس بشكل خاص، كذلك الرأي السابق الذي يقـول ان جميـع الأسـاطير كانـت فـي الأصـل أسـاطير قمرية، ذلك الرأي الذي إعتمده ج. هوسينج في كتابه "مقالات حول أسطورة قورش" [برلين، 1906] متبعاً

(12) وكمثال يُضعف منهج هذه الطريقة، ربما نذكر هنا مقالة لأحد علماء أساطير الطبيعة المشهورين إلا وهو شفارتز الذي تطرق لهذه الحلقـة مـن الأسـاطير، بعنـوان "أصـل ومنشـأ الأسـاطير المؤسسـة الرومانية تحت تأثير الأساطير الهندوجرمانية". [يينا، 1898] .

في ذلك رأي زيكي [1908][13] الذي زعم "ان هذا هو التفسير المنطقي الوحيد والواضح لأساطير ميلاد الأبطال والذي بدأ يكتسب شعبية"[14].

سيتم تناول تفسير الأساطير نفسها وبشكل مفصل لاحقاً، وسنحجم عن كل التعليقات التفصيلية حول طريقة التفسير اعلاه. ان النظرية النجمية ليست مقنعة بشكل كافٍ وتفشل في التمكن من تقديم نظرة ثاقبة لدوافع صياغة الأسطورة، على الرغم من أهمية تلك النظرية وصحة بعض أجزائها بلا شك. في الوقت الذي قد يعترض أحد ما بأن استقصاء أثر العمليات الفلكية لا يمثل كامل محتوى هذه الأساطير، وانه بالإمكان

---

(13) فوربينوس "عصر آلهة الشمس"، برلين 1904، زيكه "هيرميس كأله للقمر" المكتبة الأسطورية، المجلد 2, ج 1، صفحة 48.

(14) قارن على سبيل المثال "أقوال الكتاب المقدس وانسجامها مع أساطير الشعوب الهندوجرمانية"، برلين، 1907، قارن كذلك رؤية غوستاف فريدريش للقمر الجزئي والشمس الجزئية والتي هي رؤية طرف واحد لأسطورة البطل، في كتابه "الأساس والأصل والمعنى الدقيق للحكايات الخرافية والأساطير والملاحم الجرمانية المعروفة"، [لايبزج 1909]، صفحة 118.

التوصل الى أواصر أكثر وضوحاً وبساطة، من خلال طريقة أخرى للتفسير. تشير نظرية الافكار الأساسية - التي أسيء أستخدامها - الى جانب مهمل في البحث الأسطوري، اذ يذكر باور في بداية مقالاته وفي نهايتها، "مدى غرائزية ورجاحة البحث عن سبب الأجماع العام لهذه الأساطير على صفات شاملة في النفس البشرية اكثر مما كان سائداً في المجتمع الأولي او فترة الهجرة." يبدو ان هذا الأفتراض أكثر تبريراً لأن هذه الاتجاهات العامة في العقل البشري يمكن ان تكون قد ظهرت بأشكال اخرى وفي أماكن أخرى ما يمكن من برهنتها بطريقة الأجماع.

أما فيما يخص طبيعة هذه التوجهات العامة للعقل البشري، فقد تساعد الدراسة النفسية للمحتويات الأساسية لهذه الأساطير في الكشف عن المصدر الذي تدفقت منه بأنتظام وفي جميع الأزمان والأماكن، كمادة متطابقة لهذه الأساطير. لقد قمنا بمحاولة تعتبر ناجحة لأستنباط المقوم الأساسي من مصدر بشري مشترك بأستخدام تلك الدوافع اللأسطورية، فقد كشف فرويد

في كتابه "تفسير الأحلام"[15] عن العلاقة بين أسطورة أوديب والحلمين النموذجيين، وفاة الأب، والسفاح مع الأم [حين أخبرَ الكاهنُ أوديب بأنه سيقتل أباه ويتزوج أمه، والذي فعل ذلك لاحقاً بشكل غير متعمد]، تلك الأحلام يحلم بها الكثير من الأحياء الآن. يقول فرويد عن الملك أوديب إن "مصيره يستفزنا فقط لأنه ربما كان يمكن ان يكون مصيرنا، اذا كان القدر قد لعننا قبل ولادتنا، كما فعل معه هو، فربما كلنا كان مقدراً لنا ان يكون أول أحساس جنسي لنا مع الأم، وأول كراهية أو رغبة عدوانية ضد الأب، فأحلامنا تقنعنا بهذه الحقيقة، اذ أن قتل الملك أوديب لأبيه لايوس وزواجه من أمه أيوكاستي، لم يكن سوى تحقيق لأحلام الطفولة بكل بساطة"[16]. إن ابراز العلاقة الوثيقة بين الحلم والأسطورة – ليس فيما يتعلق بالمحتويات فقط، ولكن

---

(15) تمت ترجمتها من قبل أي. أي. بريل، شركة ماكميلان.

(16) أسطورة هاملت لشكسبير تذهب أيضاً الى نفس التفسير، استناداً الى فرويد. سوف نرى لاحقاً كيف يستجلب باحثو علم الأساطير ملحمة هاملت من رؤيتها المختلفة تماماً ليوصلوها بالدائرة الأسطورية.

أيضاً بالصيغة والقوى المحركة لها وللعديد من البنى النفسية المرضية خاصة – يسوغ تماماً تفسير الأسطورة على أنها حلم لجموع من الناس، والذي بينته مؤخراً في كتابي ("الفنان" 1907). وفي نفس الوقت فأن انتقال المنهج والنتائج الخاصة بتقنية فرويد في تفسير الأحلام الى الأساطير ولو بشكل جزئي يبدو مبرراً، كما صوره ودافع عنه إبراهام في مثاله الذي ذكره في كتابه "الأحلام والأساطير" [1909](17). فالعلاقة الوثيقة بين الحلم والأسطورة تجد مزيداً من التأكيد فيما سنسرد لاحقاً من أساطير، مع تكرار فرصة الاستدلال من خلال المقارنة.

ان الموقف العدائي للتيار الأسطوري الأكثر حداثةً [ المتمثل بشكل رئيسي في جمعية البحوث الأسطورية المقارنة] ضد كل محاولات إقامة ارتباط بين الحلم والأسطورة(18)، هو في معظمه نتيجة لتقييد التوازي مع

---

(17) في صحيفة الأمراض النفسية والعقلية، 1912، كذلك جُمعت في سلسلة الدراسات هذه بالرقم 15.

(18) قارن ليسمان (اسطورة الكتاب المقدس، 1،4)، أما أيدينرايش فقد اعترف (المصدر السابق، صفحة 149) بالأهمية الأستثنائية

ما يسمي بـ الكوابيس، كما جاء في محاولة لايستنر في كتابه الشهير " لغز أبو الهول" عام 1889، كذلك تجاهل تعاليم فرويد المتعلقة بذلك، تلك التعاليم لا تساعدنا على فهم الأحلام نفسها فحسب، بل تساعدنا أيضاً على ايضاح رمزيتها وعلاقتها الوثيقة بكل الظواهر النفسية بصورة عامة، خاصة مع أحلام اليقظة والتخيلات، ومع الابداع الفني كذلك مع اضطرابات معينة في الأداء النفسي، والعامل المشترك بين كل هذه الاستنتاجات ينتمي الى وظيفة نفسية واحدة ألا وهي الخيال البشري، الى تلك القدرة التخيلية – للإنسانية بشكل عام وليس للفرد - هي التي اجبرت نظرية الأسطورة الحديثة الى الاعتراف بكل أريحية – ربما للمرة الأولى – بالأصل النهائي لجميع الأساطير. ان تفسير الأساطير بالدلالة النجمية، أو بلفظٍ أكثر دقة "الحكايات التقويمية" يثير التساؤل، حسب ليسمان، – من زاوية الخيال الابداعي للبشرية – عما اذا كان يجب

---

لكينونة الحلم في الخيال الأسطوري في كل الأزمان، ويفعل فونت بالمثل للدوافع الأسطورية الشخصية.

علينا البحث عن البذرة الأولى لأصل مثل هذه الحكايات على وجه التحديد في طُرُق السماء؟ [19] أم على العكس من ذلك، اي انها حكايات معدة مسبقاً ومن أصول مختلفة تماماً [لكن يفترض انها نفسية] ومن ثم تم نقلها فحسب الى أجرام سماوية. هنا يضيف إيرنرايش مداخلة أكثر ايجابية (الأساطير العامة، 1910، صفحة 104) اذ يقول: ان الحركة الأسطورية تبدأ بالتأكيد على أرضٍ مأهولة، ثم يتم تجميع تلك التجارب في الجوار القريب، قبل أن يتم اسقاطها على العوالم السماوية. كذلك يخبرنا فونت (المصدر السابق، صفحة 282): ان نظرية حركة الأساطير والتي

---

(19) ستوكن [موسى، صفحة 432] يقول نفس المعنى، الأسطورة الواصلة الينا من الأسلاف، تم نقلها الى عمليات الطبيعة وتفسيرها بأسلوب طبيعي وليس بالعكس. "تفسير الطبيعة هو الدافع بنفسه" [صفحة 633، الحاشية] وبطريقة مشابهة جداً نقرأ في كتاب ماير، تاريخ العصور القديمة، م5، صفحة 48: في كثير من الحالات، تكون رمزية الطبيعة المطلوبة في الأساطير موجودة بالشكل الظاهري فقط أو أنها قُدمت بشكل ثانوي كما هو الحال عادة في الفيدا والأساطير المصرية. انها محاولة أولية للتفسير كما هي التفسيرات الأسطورية التي انتشرت بين اليونانيين منذ القرن الخامس.

تستند الى انها استحدثت ابتداءاً في السماء ومن ثم هبطت الى الأرض لاحقاً، لا تتناقض فقط مع تاريخ الأسطورة لكنها أيضاً تتناقض مع التركيب النفسي لصياغة الأسطورة، والتي بدورها يجب ان ترفض هذا الانتقال الموضعي بأعتباره مستحيلاً من ناحية المضمون. ونحن ايضاً مقتنعون بأن الأساطير[20]، وفي أصلها على الأقل، هي تشكيلات للقدرة البشرية على التخيل، والتي تم اسقاطها على السماء في وقت ما ولأسباب معينة[21]، والتي من المحتمل انه تم نقلها مع ظواهرها الغامضة الى الأجرام السماوية. فلا ينبغي بأي حال من الأحوال التقليل من أهمية الآثار الواضحة التي طبعها هذا النقل على الأساطير بأعتبارها شخصيات ثابتة وما الى ذلك، رغم أن أصل هذه

(20) بالنسبة للحكايات الخرافية، بالإضافة الى السمات الأساسية، يدافع ثيمة عن نفس وجهة النظر، اذ يزعم انها تتعلق بالأساطير، راجع في ذلك كتاب "الحكاية"، لـ ادولف ثيمة، م2 من سلسلة كتاب الجيب عن التراث الشعبي، لايبزج، 1909.

(21) الجزء الثاني من الترجمة الألمانية، لايبزج، 1896، صفحة 143.

الشخصيات ربما كان ذا سمة نفسية، ثم بعد ذلك تم وضع اساس التقويم وحسابات السماء، بسبب هذه الدلالة على وجه التحديد.

بشكل عام، يبدو كما لو ان هؤلاء الباحثين، الذين يستخدمون الأسلوب الأسطوري التقليدي حصراً في التفسير، بأي وجه من الوجوه، لم يفلحوا في سعيهم لأكتشاف المغزى الأساسي للحكايات الأسطورية، بعيداً عن العملية النفسية تلك التي يجب أفتراضها لمبدعي الأساطير[22]، فالدافع متطابق ويؤدي الى نفس المسار لمؤلفي الأساطير وكذلك مفسريها. هناك تعبير يعتبر الأكثر سذاجة قاله أحد مؤسسي وأبطال البحث الأسطوري المقارن، والطريقة الأسطورية الطبيعية في التفسير، إلا وهو ماكس مولر حيث أشار في مقالاته [1869] "الى ان هذه الطريقة لا تستغل الأساطير التي لا معنى لها بكل دلالتها وجمالها الخاص بها فقط، ولكنها أيضاً تساعد على إقصاء بعض السمات الثورية

(22) فيما يخص تفسير الأسطورة هذا، قال فونت بوضوح انه كان ينبغي ان يكون مصاحباً لصياغة الأسطورة الأساسية.

في الأساطير الكلاسيكية وتوضيح معناها الحقيقي".
هذه الثورية التي يمكن فهم سببها بسهولة، تمنع عالم الأساطير طبيعياً من أفتراض أن دوافع مثل السفاح مع الأم، الأخت، أو البنت، أو قتل الأب أو الجد أو الأخ يمكن ان يستند الى خيالات عمومية، والتي لها مصدرها في النفس الطفولية وفقاً لتعاليم فرويد، مع تأويلها المميز للعالم الخارجي ولقاطنيه. ومن ثم فأن هذا التمرد ليس سوى رد فعل لأدراك محسوس باهت ومصحوب بألم لواقعية هذه العلاقات، يدفع رد الفعل هذا مفسري الأساطير ومن أجل اعادة تأهيل اللاوعي لهم وللبشرية جمعاء، الى ارجاع هذه الدوافع الى تفسير مختلف تماماً عن دلالاتها الأساسية، ونفس هذا الوهم الداخلي يعيق مؤلفي الأساطير من الايمان بإمكانية وجود مثل هذه الأفكار الثورية، فلربما كان هذا الدفاع هو السبب الأول لأسقاط هذه العلاقات على السماء. ان الإصلاح النفسي الحاصل من خلال اعادة التأهيل تلك التي تعتمد الأسقاط على الأجرام الخارجية والبعيدة، لا يزال بالإمكان إدراكه وبصورة

يقينية من خلال لمحة سريعة لأحد هذه التفسيرات، على سبيل المثال حكاية أوديب الخرافية المقززة، كما عرضها أحد ممثلي الطريقة الطبيعية في تفسير الأساطير اذ ذكر غولدتسيهر [1876] قائلاً: "أوديب الذي قتل أباه، وتزوج أمه، ومات عجوزاً أعمى، هو بطل الشمس الذي يقتل من أنجبه "الظلام" ويتقاسم سريره مع أمه، "الغسق"، التي وُلِد الفجر من حضنها، ثم يموت أعمى مثل "الشمس الغاربة"[23].

انه لمن الواضح ان هكذا طريقة في التفسير هي اسهل على العقل من الايضاح عن حقيقة أن دوافع سفاح القربى والقتل ضد أقرب الأرحام موجودة في خيال معظم الناس بأعتبارها بقايا الخيال الطفولي، لكن ذلك

(23) انظر ايجناز غولاتسيهر "الأسطورة عند العبريين وتطورها التاريخي" [لايبزج، 1876] صفحة 125. واستناداً الى كتابات زيكه [هيرمس كآله للقمر، لايبزج، 1908، صفحة 39]، تفقد أساطير سفاح القربى كل سماتها الغير عادية من خلال الإشارة الى القمر وعلاقته بالشمس وعليه فالتفسير بسيط جداً: الأبنة، الهلال، هو تكرار للأم [القمر الكامل]، مع ابيها [الشمس] [كذلك الأخ، الأبن] اذ يجمع شملهما.

لا يشكل دليلاً علمياً اذ ان تمرد من هذا النوع وفق الحقائق المتوفرة في غير محله تماماً رغم انه ليس دائماً سليم من الناحية الشعورية. لذا على المرء أما يروض نفسه على تقبل هكذا فواحش، والشعور بأنها متاحة كما هي (على حقيقتها)، أو يجب عليه ان يتخلى عن دراسة الظواهر النفسية، كذلك يتبين بجلاء ان الكائنات البشرية، وحتى في العصور المبكرة، ومع مخيلتهم الأكثر سذاجة، لم يستمدوا سفاح القربى وقتل الآباء من السماوات العلى(24)، ولكن من المرجح جداً ان تكون هكذا أفكار قد أستمدت من مصدر أخر، من المفترض انه بشري، والا فكيف وصلوا الى السماء؟ وما هي الإضافات والتعديلات التي تناولوها في هذه

(24) لا يمكن التصديق بما قاله زيكه في مقال له بعنوان "الديانة البدائية عند الهندوجرمانيين" [برلين، 1897] اذ ذكر ان أساطير سفاح القربى هي سرديات وصفية لعمليات الطبيعة المنظورة والغير قابلة للتصديق، واعترض على موقف اولنبورج ["ديانة الفيدا" صفحة 5]، الذي افترض ان النزعة الأساسية للأساطير هو دافع سفاح القربى، مع الملاحظة بأنه في ذلك الزمان فأن الدافع كان يُفرض على الراوي دون رغبة منه من خلال قوة الحقائق المشهودة.

العملية؟ هذه الأسئلة ذات الخاصية الثانوية، لا يمكن حسمها الا بعد برهنة الأصل النفسي للأساطير بشكل عام.

على اية حال، فألى جانب التصور النجمي، فأن مزاعم الدور الذي تلعبه السيرة النفسية يجب ان يعتمد كذلك في نفس الأسس الخاصة بصياغة الأسطورة، وهذه الذريعة سوف يتم تبريرها بإسهاب من خلال نتائج طريقتنا في التفسير. ولأجل هذا الهدف، ستتناول أولاً المادة الأسطورية، والتي سيتم تفسيرها من الناحية النفسية لأول مرة بهذه الطريقة الموسعة؛ مختارين من بين مجموعة[25]. من سير أساطير الأبطال الرئيسية

(25) هذا التنوع الكبير والانتشار العريض لأساطير ولادة الأبطال هو نتيجة من الكتابات المقتبسة اعلاه لـ باور، وشوبرت وآخرين بينما تمت مناقشة محتوياتها الشمولية وتشعباتها الفرعية من قبل هوسينج وليسمان وآخرين من ممثلي الاتجاه الحديث.

تظهر اعداد لا حصر لها من الحكايات والقصص والقصائد الخيالية في كل العصور وصولاً الى الأدب الدرامي والروائي الحديث، دوافع متميزة وفردية فيما يتعلق بهذه الأسطورة. من المعروف ان رومانسية التعريض تظهر في النتاجات الأدبية التالية: الرعوية الإغريقية المتأخرة، كما رواها هليودورس في "أثيوبيكا"، كذلك أوستائيوس

والأكثر شهرة، وبعضها المميزة بشكل خاص، وفيما يتعلق بهذا البحث فسيتم اختيار صيغة مختصرة لهذه الأساطير مع الإشارة الى المصدر. كذلك ننوه الى الانتباه لبعض الأختلافات التي ربما تحدث نتيجة الأخطاء الطباعية.

---

في "ايسمينلياس وإسمين" في قصة الطفلين دافينر وكلوي الذين واجها التعريض. الرعوية الايطالية الأحدث تعتمد مراراً على قصة تعريض الأطفال، الذين نشأوا رعاة مع آبائهم بالتبني، الذين سيتم التعرف عليهم لاحقاً من قبل ابائهم الحقيقين من خلال تمييز العلامات التي تحصَل عليها الآباء وقت تعريض ابناءهم، وينتمي الى نفس المجموعة كتاب "المغامرات البسيطة" لـ غريملزهاوزن (1665)، و "العملاق" لـ جين باول 1800، وكذلك نماذج معينة من روايات روبنسون وورومانسيات كافالبير (قارن مقدمة فورتسباخ في طبعة هيسن لـ "دون كيشوت").

# سرجون

على الأرجح ان أقدم أسطورة (*) وصلت الينا (وصلت الى مسامعنا) مستمدة من زمن تأسيس بابل(**) (2800 ق.م)، تناولت قصة ولادة مؤسسها سرجون الأول . ترجمة الرواية الحرفية – والتي تبدو استناداً الى نمط الترجمة انها نقش أصلي للملك سرجون نفسه – وكما يلي (***) (26):

---

(*) لقد أشرنا في المقدمة الى المفرق الدلالي بين كلمة الأسطورة ومرادفاتها حسب رأي الباحثين عندنا وعليه فأن التسمية الأرجح هي "ملحمة سرجون" وهنا ربما تتزاحم تأريخياً مع ملحمة جلجامش).

(**) يبدو ان هناك لبس عند المؤلف في التفريق بين الدولة الأكدية والبابلية، اذ أن سرجون الأول هو مؤسس الأمبراطورية الاكدية أول امبراطورية عرفها التاريخ.

(***) (ارتأينا أن تكون الترجمة حرفية تماماً كما هو رأي المؤلف لأنه نص ربما كان تم التعامل معه بقداسة في وقته.

(26) الترجمات المختلفة للنصوص المشوهة جزئياً تختلف فيما بينها في التفاصيل الغير أساسية، قارن هومل "تاريخ بابل وأشور"، برلين 1885، صفحة 302، حيث مصادر التراث وجدت متماثلة،

" أنا سرجون الملك العظيم، ملك أكد، أمي كانت طاهرة، لا أعرف من هو أبي، بينما يسكن عمي في الجبال. في مدينتي (ازوبيرانو) التي تقع على شاطئ الفرات، ولدتني أمي الطاهرة. لقد ولدتني في مكان خفي، وضعتني في وعاء مصنوع من القصب، اغلقته بالقار ثم اسقطتني في النهر، الذي لم يغرقني. حملني النهر الى الساقي أكي (وتلفظ عكي أيضاً). الساقي أكي احتضنني بعطف قلبه، الساقي أكي رباني كأبنه، الساقي أكي جعل مني فلاح حديقته، وخلال عملي كفلاح أحببت "عشتار"، صرت ملكاً ولمدة (45) سنة احتفظت بالإدارة الملكية".

---

كذلك أي. جيرمياس " العهد القديم على ضوء الشرق القديم"، الطبعة 2، لايزج، 1906، صفحة 410.

# موسى

القصة التوراتية لولادة موسى والتي ذكرت في سفر الخروج الفصل الثاني تظهر التشابه الكبير مع اسطورة سرجون حتى انها تظهر تماثلاً حرفياً للصفات الخاصة[27].

هنا يبدأ الفصل الأول ( الثاني والعشرون)، الذي يتعلق بأمر فرعون لقومه ان يرموا في النهر كل مولود ذكر للعبرانيين، بينما سمح للإناث بالعيش، والسبب لقراره هذا هو زيادة الانجاب لدى الإسرائيليين، بينما يستمر الفصل الثاني كالتالي: [28]

---

(27) بالاستناد الى هذا التشابه، كان عادة يُظن بتبعية قصة (سفر الخروج) الى اسطورة ولادة سرجون، لكن فيما يبدو لم يُصرف جهد كافي لتأكيد اختلاف جوهري بينهما، وهذا ما سيتم معالجته في تفاصيل للترجمة.

(28) في النص الأصلي في النص الأصلي لم تذكر اسماء والدي (النبي موسى)، كما باقي الأشخاص في هذه (الرواية الأقدم تأريخياً). الاسماء منحت لهم خلال فترة (الكهنوتية) تحديداً. الاصحاح (6)، 20 يذكر: " وعمرام (عمران) اتخذ أخت أبيه (يوكابد) زوجة له: التي انجبت هارون وموسى"، [ وطبقاً للأصحاح 4،26،59، واختهما

"وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي، فحبلت المرأة وولدت ابنا. ولما رأته أنه حسن، خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد، أخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت، ووضعت الولد فيه، ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به، فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر. فرأت السفط بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي. فرقت له وقالت: هذا من أولاد العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لي وأنا أعطي أجرتك. فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد

---

مريم]. كذلك شاهد ونكلر، تاريخ اسرائيل، 2 وجيرمايس 1 . . ج، صفحة 408.

جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا، ودعت اسمه موسى[29] وقالت: إني انتشلته من الماء."(*)

أما الرواية التالية فأنها منمقة بأساطير حاخام من خلال سرد الوقائع التي سبقت ولادة موسى. في السنة الستين بعد وفاة يوسف، رأى الحاكم فرعون في منامه رجلاً عجوزاً يحمل ميزاناً وجميع سكان مصر مستلقون على جانب وعلى الجانب الآخر حملٌ رضيع، ومع ذلك وزنه يفوق (وزن) جميع المصريين. استشار الملك المفزوع العرافين والمنجمين فوراً، الذين فسروا الحلم بـ ولادة طفل لبني اسرائيل سيدمر مصر كلها، انفعل الملك وأمر على الفور بقتل جميع الأطفال حديثي

---

(29) معنى معنى الأسم بحسب ونكلر ("الثقافة العقلية البابلية"، صفحة 119)، "ناقل المياه" (السقاء) (انظر ايضاً ونكلر "الدراسات الشرقية القديمة"، الجزء الثالث، صفحة 468، وما الى ذلك)، والذي يقرب أكثر اسطورة (ولادة النبي) موسى من اسطورة سرجون لأن الاسم (أكي) يعني (أنا نقلت المياه) (**)

(*) سبب التسمية.

(**) تشابه او هي نفسها مهنة "السقاء".

الـولادة لبنـي اسـرائيل فـي انحـاء الـبلاد. بسـبب هـذا الحكـم الاسـتبدادي انفصـل عمـران بـن لاوي الـذي يسـكن (جـازان) عـن زوجتـه يوكابـد لـئلا يحكـم علـى الأولاد الذين تحملهم منه بالموت المحقق. لكن هذا القرار عُورِض فيما بعد من قبل ابنته مريم التي تكهنت بيقين ان الطفل المقصود في حلم الملك سيخرج من بطن أمها تحديداً، وسيصبح محرراً لشعبه.(30)

ولـذلك رجـع عمـران الـى زوجتـه التـي انفصـل عنهـا لـثلاث سـنوات. بعـد ثلاثـة أشـهر حملـت، ثـم ولـدت صبياً كان لولادته ان أضاء البيت كله بشعاع من نور خـارق مـذكراً بـحقيقة النُبـوءة. (اسـتناداً الـى برجـل، ميثولوجيه العبرانيين، لايبزج، 1882)

ترد روايات مشابهة عن ولادة الجد الأعلى للعبرانيين ابراهيم، أنه كان أبناً لـ تارح (آزر) – القائد عند نمرود – وزوجتـه أمتـيلاي (أمبلـه). قبـل ولادتـه تنبـأ الملـك

---

(30) شيموت (مدراش) رابا، المجلد 2،4. رسالة (فصل)2، (النبي) موسى 1، 22، يقول: ان المنجمين أخبروا فرعون عن إمرأة حامل بـ مُخَلص بني اسرائيل.

نمـرود مـن النجـوم، ان الطفـل القـادم سـوف يحطـم عروش الأمراء الأقوياء ويستحوذ على أراضيهم. فأمر الملك نمرود بقتل الطفل بعد ولادته فوراً. ولكن عندما سُئِل (تارح) عن الصبي قال: في الحقيقة وُلِدَ لي ولد، لكنـه مـات. بعـد ذلـك جـاء بطفـل غريـب خافيـاً أبنـه الحقيقي في مغارة تحت الأرض، حيث يهيئ له الله ان يرضع حليباً من أصبعاً في كَفه الايمن. يقال ان ابراهيم بقي في تلك المغارة حتى السنة الثالثة ( وطبقاً لأخرين حتى العاشرة) من عمره (قارن بين بيير، حياة ابراهيم، وفقـاً لتفسـير التقاليـد اليهوديـة، لايبـزج، 1859) وأوغسـت فونشـه، مـن معـابر التعليـم فـي اسـرائيل، لايبزج، 1907).

كذلك في الجيل التالي، في قصة أسحاق، تظهر نفس الدوافع الأسطورية. قبل ولادته أُنذر الملك ابي ملك (مالك) في حلمه ان لا يلمس سارة لأن ذلك من شأنه ان يحدث له فاجعة. بعد فترة طويلة من العقم، حملت سـارة أخيراً بأبنهـا الـذي كـان مقـدراً لـه ان يضـحي بـه والده بالتبني ابراهيم/ والذي انقذه الله في النهاية. لكن

ابراهيم طرد ابنه اسماعيل وأمه هاجر (سفر التكوين 20، 6. انظر أيضاً بيرجل، النص)

# كارنا

تكشف الملحمة الهندية القديمة (مهابهارتا)[31] ايضاً عن علاقة وثيقة مع ملحمة سرجون في ملامحها الأساسية، وهي ولادة البطل كارنا. محتويات الملحمة استخلصت بأختصار من قبل لاسين ("العصور القديمة الهندية"، 1، صفحة 63)[32]: الأميرة بريثا والتي عُرفت ايضاً بـ كونتي، ولدت وهي عذراء الصبي كارنا والذي كان أبوه (سوريا) إله الشمس. ولد الصبي كارنا بأقراط ابوه الذهبية وبدرع صدر لا يُكسر. الأم وفي محنتها كانت تخفي الصبي أحياناً وتظهره اخرى. في اقتباس

(31) الملحمة الهندوسية لولادة الملك الأسطوري فيركاماتيدا يجب ان تذكر في هذا الصدد، هنا أيضاً يحدث زواج ابوين عقيمين، الحمل الأسطوري، التحذيرات المشؤومة، ظهور الصبي في الغابة، تغذيته بالعسل وأخيراً اعتراف الاب به. (انظر جولك " القصص المنغولية الخرافية"، انسبروك، 1868، صفحة 73 وما يليها.)

(32) الأساطير الهندوسية، كارلسروه، 1846، الجزء الثاني، صفحة 117 الى صفحة 127.

أي. هولتسمان للأسطورة يقول، المقطع 1458[33]:"ثم صنعت أنا ومربيتي سلة كبيرة من نبات الأسل (*)، وضعنا غطاءاً عليها، وبطناها بالشمع؛ ثم وضعتُ الطفل في تلك السلَة، التي حملته طافية على الأمواج الى اسفل نهر أكفا، وبعد وصولها الى نهر الغانغ أخذها التيار الى مدينة كامبا. "على طول النهر كانت هناك عربة تمشي، يقودها رجل نبيل صديق لـ دراتاراسترا، بمعية زوجته التقية الجميلة رادا، التي كان يلفها حزن عميق، لأنها لم ترزق بولد. رأت رادا السلة في النهر، في الوقت الذي جلبتها الأمواج قريبا منها عند الشاطئ، فأرشدت عليها ازيراث، الذي قام بسحبها من بين الأمواج". اهتم الاثنان بالصبي ورَبياه حتى كبر ابناً لهما.

تزوجت كونتي فيما بعد من الملك باندو، الذي كان مجبراً على الامتناع عن الجماع الزوجي بسبب لعنة

---

(33) الأساطير الهندوسية (اعلاه).

(*) الأسل: نبات عشبي طويل ينبت في المناطق المغمورة بالمياه وحافات الانهار.

قديمة تقول انه سيموت بين ذراعي زوجته. لكن كونتي انجبت ثلاثة اولاد، مرة اخرى من خلال الاخصاب الإلهي، احد هؤلاء الاولاد ولد في كهف ذئب. وفي احد الايام توفي باندو في حضن زوجته الثانية. بعد ان كبر الأولاد وخلال بطولة ينظمونها اراد كارنا ان يظهر قوته من خلال منازلة أشجع المحاربين "أرجونا" احد أبناء كونتي. لكن أرجونا يرفض وبإزدراء منازلة ابن العربجي. فيقوم أحد الحاضرين باختياره ملكاً لأجل جعله خصماً كفوءاً. في هذه الاثناء تعرفت كونتي على ابنها من خلال العلامة الإلهية وطلبت منه ان يكف عن منازلة اخيه، كاشفةً له سر ولادته الأمر الذي اعتبره قصة مثيرة. فيصر وبصلابة على قناعته بالقتال لكن كارنا يسقط في المبارزة بسهم اخيه أرجونا. (قارن الوصف التفصيلي في كتاب ليفمان "تاريخ الهند القديمة"، برلين، 1890، صفحة 181 وما يليها.)

تقدم قصة ولادة آيون، الجد الأعلى للأيونيين(*)، تشابهاً واضحاً في البنية العامة لأسطورة كارنا، فيما روايتها المتأخرة نسبياً تخبرنا بالتالي [34]: تمت ولادة أبولو في مغارة في مرتفع الاكروبوليس في أثينا، انجبته كروسا بنت اريخيكيوس. تم تعريض الصبي في المغارة التي ولد فيها اذ تركته الام داخل سلة من الصوف، على أمل ان لا يترك الإله ابولو ابنه يواجه الموت. وبأمر من أبولو يحمل هرمز الصبي في نفس الليلة الى دلفي، وعند الصباح تجده الكاهنة على عتبة المعبد، تربي الكاهنة الصبي، وعندما يكبر تجعل منه خادماً للمعبد. قام اريخينوس لاحقاً بتزويج ابنته كروسا من المهاجر خوثوس، وبما ان الزواج بقي لفترة طويلة بدون إنجاب، فقد طلبوا مساعدة عرافة دلفي. ودعوا ان

---

(*) الأيونيون هم مجموعة من الاغريق القدماء عاشوا في الجزء الجنوبي من اليونان قبل عام 1100 ق.م.

(34) انظر الى روشر، فيما يتعلق بمسرحية أيون لـ أويريبديس حيث لم يذكر اي مصدر آخر، كلفة أساطير اليونانية والرومانية مأخوذة من القاموس الشامل للأساطير اليونانية والرومانية، الذي حرره روشر والذي يحتوي على قائمة بجميع المصادر.

يُبارك بذريتهم. اوحى الإله الى خوثوس ان أول شخص يقابله عند مغادرته المزار سيكون ولده. فأسرع الى الخارج وقابل الشاب، الذي يرحب به بسعادة مثلما يرحب بإبنه، ويسميه أيون (تعني الماشي)، كروسا رفضت تقبل الشاب كأبن لها، باءت محاولتها لتسميمه بالفشل، ما دعا الشعب الغاضب للأنقلاب عليها. كان أيون على وشك مهاجمتها لكن أبولو، الذي لم يشأ ان يقتل الابن أمهُ، أوحى الى الكاهنة التي فهمت رابط العلاقة، عن طريق السلة التي كان يرقد فيها الوليد، اكتشفت كروسا انه ابنها، وأفصحت له عن سر ولادته.

# أوديب

مكث والدا أوديب الملك لايوس ومليكته جوكاستي زمناً بدون أطفال ولأن لايوس كان يتحرق على وريث فقد ذهب طالباً النصيحة من الإله أبولو في مدينة دلفي، فيخبره العراف بأن رغبته في الولد ممكن ان تتحقق، إلا أن القدر قضى بأن هذا الولد سيقتله، وخوفاً من تحقق هذه النبوءة فقد أحجم لايوس عن العلاقات الزوجية، لكنه ذات ليلة وحين كان مخموراً، لم يكن منه الا ان أعقب حملاً في رحم زوجته، الذي سيقوم بتعريض هذا الطفل في نهر كيثاريون بعد ثلاثة ايام فقط من ولادته، ومن أجل التأكد تماماً بأن الطفل سيهلك، يأمر لايوس بثقب كاحليه. وبحسب رواية سوفوكليس – وهو ليس الأقدم – فأن الراعي الذي عُهد اليه بتعريض الصبي، قام بإعطاء الصبي الى راعي ماشية الملك بوليبوس، ملك كورنيث، والذي سيتربى أوديب في بلاطه، وفقاً للرواية الشائعة. في حين قال آخرون ان الصبي تم تعريضه في صندوق على ساحل البحر،

فتُخرجَه بيريبوا زوجة الملك بوليبوس من الماء عندما كانت تغسل ملابسها على الشاطيء[35]. ليقوم بوليبوس برعايته كأبن له.

يتناهى الى سمع أوديب عن طريق الصدفة بأنه لقيط، فيسأل العراف في دلفي عن والديه الحقيقيين. لكنه يتلقى النبوءة التي تقول بأنه سيقتل أباه ويتزوج أمه، ولأعتقاده ان النبوءة تتحدث عن والديه بالتبني، يهرب من مدينة كورنيث الى مدينة طيبة، وفي الطريق وعن غير عمد يقتل أباه لايوس. ونتيجة لحله معضلة المدينة بتخليصها من طاعون أبو الهول، الوحش الذي يفترس الأنسان، يكافأ بالمقابل بمنحه يد الملكة جوكاستي، أمه، وكذلك عرش والده. بقية هذه الفضائع، وما تلاه من سوء حظ أوَديب، كانت مادة مفضلة للأستعراضات المثيرة بين فناني التراجيديا الإغريقيين.

---

(35) استناداً الى بيثه في كتابه "أغاني أبطال طيبة"، فأن التعريض في الماء كان هو التصوير الأولي، أما في الإصدارات الأخرى فأن مربي الخيول هم من وجدوا الطفل وقاموا بتربيته، أما ميليبيوس فيقول في احدث إصدار ان الطفل تم تربيته من قبل رجل قروي.

هناك سلسلة كاملة من الملاحم المسيحية التي تم الاسهاب بها على نمط اسطورة أوديب[36]، ويمكن ان تمثل المحتويات المختصرة لملحمة يهوذا انموذجاً لهذه المجموعة. فقبل ولادته، وفي المنام، تم تحذير والدته سايبوريد، بأنها ستلد ولداً شريراً، يسعى الى تدمير شعبه. فيقوم الوالدان بتعريض الصبي في صندوق في البحر، لتبادر الأمواج بقذف الصبي الى شاطيء جزيرة سكاريوت، فتجده الملكة العقيمة وتربيه كأبن لها. في وقت لاحق، ينجب الزوجان الملكيان أبناً، فيشعر اللقيط بالإهانة، ويقتل أخاه بالتبني، وبعد هروبه من بلده، يقوم بالخدمة في بلاط الملك بيلاطس، الذي جعله ثقته، ووضعه في مكانة المشرف على الخزينة العامة. وفي نزاع، يقتل يهوذا جاراً له، بدون ان يعلم أنهُ أبوه، ثم تصبح أرملة القتيل – أي أمه – زوجةً له، وبعد تجلي هذه الفظائع، يتوب ويبحث

(36) تم معالجة (تناول) الموضوع كاملاً من قبلنا في كتاب "دافع سفاح القربى في الشعر والأسطورة"، 1912، الفصل 10.

عن المخلَص، الذي يرحب به بين حوارييه، أما خيانته ليسوع فمعروفة من الإنجيل.

أما ملحمة القديس غريغوري المنقوشة على الحجر – موضوع سردية هارتمان فون آوه – فهي تمثل نوعاً أكثر تعقيداً من هذه المجموعة الأسطورية، غريغوري الطفل المولود من علاقة سفاح قربى بين عاشقين من الملوك، يتم تعريضه من قبل والدته في صندوق على البحر، فينقذه ويربيه الصيادون، ثم يتلقى تعليمه في دير الكنيسة، في الوقت الذي يرغب بحياة الفرسان، وينتصر في النزالات، وكمكافأة له يمنح يد الأميرة – والدته –، وبعد اكتشاف سفاح القربى، قام غريغوري بالتكفير عن ذنبه بالبقاء على صخرة في وسط البحر، ليصبح أخيراً البابا، بأمر من الله (أنظر كتاب تشلوفيكاس الموسوم "تاريخ الشعر الألماني وفقاً للأصول القديمة").

كذا فهناك ملحمة مشابهة تماماً وهي الملحمة الإيرانية للملك داراب التي رواها الملك فردوسي في كتاب الملوك، واعاد تقديمها شبيجل (العصور الإيرانية

القديمة، ج2، صفحة 584)، والتي تقول ان آخر ملوك السلالة الكيرانية بهمن سمَى أبنته وآخر زوجاته هوماي لخلافته، ما أثار غضب أبنه ساسان الذي آثَر العُزلة. هوماي، وبعد وفاة زوجها بفترة وجيزة، أنجبت ولداً، فأزمعت على تعريضه، وُضع الطفل في صندوق، وترك في نهر الفرات ليجرفه التيار الى ان يوقفه حجرٌ وضعه دباغٌ في المياه، وحين وجد الصندوق وبداخله الطفل، حمله الى زوجته، التي كانت قد فقدت طفلها مؤخراً، فأتفق الزوجان على تربية الطفل اللقيط، وحينما كبر الصبي، كان شجاعاً جسوراً حتى الأطفال الآخرين كانوا غير قادرين على مقاومته، ولم يهتم الصبي بحرفة والده، في الوقت الذي تدرب ليكون محارباً، أجبر الصبي والدته بالتبني على كشف خفايا مولده، ثم التحق بالجيش، الذي سيَرته هوماي لمحاربة ملك سَلطنة سلاجقة الروم، أثار داراب انتباه هوماي بشجاعته المعهودة، فما كان منها الا الاعتراف به أبناً لها وإعلانهِ خليفةً لعَرشها.

# باريس

يروي ابولودوروس عن ولادة باريس: كان للملك بريامس وزوجته هيكايا ولداً يسمى هيكتور. وعندما كانت على وشك ولادة الطفل الآخر، حلمت انها احضرت غصناً مشتعلاً من الخشب، ما أدى الى اشتعال النيران بالمدينة أكملها. وحين استشار ايساكوس، ابنه من زوجته الأولى اريسبي، والذي كان خبيراً في تفسير الأحلام، أخبره ان الطفل سيجلب المتاعب للمدينة ونصحه بأن يتم تعريضه. أعطى بريامس الصبي الصغير الى احد عبيده (أسمه اجيلاوس)، الذي حمله الى قمة جبل أيدا. قامت دُبة بإرضاع الطفل لمدة خمسة أيام. وعندما اكتشف أجيلاوس ان الطفل لا يزال على قيد الحياة، انتشل الطفل وحَمله الى بيته ليربيه. أطلق عليه اسم باريس; لكن الولد بعد أن كَبُرَ وكان شاباً وسيماً قوياً، أطلق عليه أسم: ألكسندروس، لأنه حارب اللصوص وحمى قطعان الماشية. وسرعان ما تبينت هوية والديه. وكانت

الرواية حسب هيجنوس كالتالي: ان الرضيع عثر عليه من قبل بعض الرعاة. وفي أحد الأيام أرسل بريامولس مجموعة من حاشيته الى هؤلاء الرعاة لجلب ثور يخصص كجائزة للفائز في المسابقات التي تقام احياءاً لذكرى باريس. ولأنهم هربوا بعيداً بالثور الذي كان باريس يعطيه القيمة الكبرى قام باللحاق بهم وأحضاره، وشارك في المسابقات، وفاز بالجائزة. هذا الأمر أثار غضب أخيه ديفوبوس (دوفيوس)، الذي هدده بالسيف، لكن أخته كساندرا اكتشفت اخيها، ما حدا بـ بريامولس ان يحتضن ابنه بسعادة. أما البلاء الذي جلبه باريس لاحقاً لعائلته ومدينته فكان خطفه لهلين (هلينا)، كما ذكره الشاعر هوميروس وكافة الشعراء السابقين واللاحقين في مقدماتهم وخاتمتهم.

هناك تشابه أكيد مع قصة باريس، ذكرت في قصيدة (زال)، اساطير الأبطال الفرس، للفردوسي (ترجمها تشاك). زال هو أبن سام ملك سيستان من احدى صاحباته، ولأنه ولد بشعر أبيض قامت أمه بأخفاء ولادته، لكن المربية كشفت ذلك للملك. شعر سام

بخيبة أمل وأمر بالتخلص من الطفل. حمله الخدم ووضعوه على قمة جبل (ألبرز)، حيث قام طائر السيمرغ العملاق بتربيته. بعد أن أصبح شاباً يافعاً، شاهده مجموعة من الرَحالة ليتحدثوا عنه "بأن مجرد ارضاعه من قبل السيمرغ كافياً لجعله قوياً" (*). ذات مرة رأى الملك سام ابنه في رؤيا، وانطلق للبحث عن الطفل (الذي سعى الى التخلص منه). وفي محاولته الوصول الى قمة الجبل العالية رأى الشاب أخيراً، ما دعا طائر السيمرغ الى حمل الشاب لأبيه، الذي استقبله بفرح غامر وسماهُ وصياً له.

---

(*) طائر السيمرغ طير خرافي ورد ذكره في الأساطير الأرية على انه إله الطيور ويظهر ان أولئك البدو الرحل خافوا من الطائر. المعروف في ذلك الزمان اذ كانوا غالباً ما ياخذون أي شاب يصادفونه في طريقهم لغرض بيعه كعبد.

# تيليفيوس

أليوس ملك تاجيا أخبره العراف بأن أولاده سوف يهلكون إن خلفته ابنته على العرش، وبناءاً عليه جعل من ابنته آوغه كاهنة الآلهة أثينا، وهددها بالموت ان هي اقترنت برجل، ولكن هرقل وإبان حملته ضد أوغياس، نزل ضيفاً في معبد أثينا، إذ التقى فيه الفتاة، لكنه أغتصبها حين كان ثملاً. عندما اكتشف أليوس ان آوغه حاملاً، قام بتسليمها الى البحار الصارم ناوبليوس، آمراً إياه بألقائها في البحر، لكنها وفي الطريق انجبت تيليفيوس عند جبل بارثينيون، عندها تجاهل ناوبليوس الأوامر التي تلقاها، حاملاً كل من الفتاة وطفلها الى مدينة ميسيا، ليسلمها الى الملك تيثراس.

وفي رواية أخرى فأن أوغه، وحينما كانت كاهنة انجبت سراً، لتقوم بإخفاء الصبي في المعبد، لكن أليوس وحالما اكتشف تدنيس مقدساتهم أمر بالطفل ليتم

تعريضه في جبال بارثينيون[38] وأمر كذلك ناوبليوس ليأخذ الفتاة ويبيعها في البلدان الأجنبية، أو أن يقتلها. فقام البحار بتسليمها الى الملك تيثراس بنفسه.

أما الرواية الأكثر شيوعاً، فتقول أن أوغه هي من عَرَضت الطفل بعد ولادته وهربت الى ميسيا، بينما قام الملك تيثراس بتبني الفتاة اذ لم يكن له عقب. أما الطفل فتقوم غزالة برعايته، ليجده بعد ذلك رعاة فيحملوه الى الملك كوريثوس، الذي يتعهد تربيته كابن له. عندما يكبر تيليفوس ويعد ان ينصحه احد العرافين يذهب الى مدينة ميسيا، باحثاً عن والدته، ويبادر بأنقاذ تيثراس، الذي كان في خطرٍ من اعداءه، وكمكافأة له يمنحه الملك يد أبنته المزعومة، الا وهي والدة تيليفوس الحقيقية أوغه، لكنها ترفض طاعة تيليفوس، وحين كان حانقاً يوما ما، ومتى ما اوشك على طعنها

---

(38) في تراجيديات يوربيديس "أوغه" و"تيليفوس" كانوا أشخاص حقيقين، وان اليوس هو من تسبب بوضع الأم وطفلها في صندوق ورميهما في البحر، لكن بواسطة رعاية الآلهة أثينا انجرف الصندوق الى نهاية نهر ميسيان، كايوكس، وهناك وجده تيثراس، الذي جعل من أوغه زوجة له واتخذ طفلها كأبن له بالتبني.

بسيفه لعصيانها، وفي خضم هذه المحنة صرخت بأسم حبيبها هرقل، ليتعرف عليها تيليفوس، الذي اصبح ملكاً لـ ميسيا بعد وفاة تيثراس.

# بيرسيوس

وصل اكريسيوس ملك أرغوس الى سنٍ متقدمة دون أن يحظى بذرية من الذكور، ومن شدة رغبته في الحصول على ولد، استشار العراف في مدينة ديلفي، الذي حذره بدوره من الذرية الذكور، وأخبره بأن أبنته داناي سوف تنجب ولداً، يتسبب في هلاكه، ولضمان عدم حدوث ذلك بادر بحبس ابنته في حجرة حديدية، آمراً بحراستها بحرص شديد، لكن الإله زيوس يتسلل من السقف على هيئة مطر ذهبي، لتصبح بعدها داناي اماً لصبي[39]، وعندما يسمع اكريسيوس يوماً صوت الصبي بيرسيوس في حجرة ابنته، يعلم انها انجبت طفلاً. لذا يقوم بقتل مربيتها، ليرافق بعدها ابنته ووليدها الى معبد زيوس في المدينة، كي تقسم له معترفةً بأسم والد الطفل الحقيقي، لكنه يرفض تصديق إفادتها بأن زيوس هو الأب، وبناءاً عليه، يقوم بحشرها مع طفلها

(39) مؤلفون متاخرون من ضمنهم بندار ادعوا ان لم يكن زيوس من تسبب بحمل داناي ولكن شقيق والدها/ عمها.

في صندوق[40]، ويرميه في البحر. فما كان من أمواج البحر الا أن حملت الصندوق الى شاطيء سريفوس، فيبادر الصياد دكتيز - الذي كان ملقباً بأخ الملك بوليديكتيس - بأنتشال الأم وطفلها من البحر وانقاذهم بشباكه، ويأخذهم الى منزله و يستبقيهم كأنهم أهله. بَيدَ أنَ بوليدكيتس يُفتَنُ بجمال الأم، لكن بيرسيوس يقف عائقاً في طريقه، فيحاول إبعاده من خلال ارساله لجلب رأس ميدوزا البشعة [*]، لكن وعلى عكس توقعات الملك، ينجح بيرسيوس في انجاز هذه المهمة الصعبة، بجانب عدد آخر من المأثر البطولية، وفي لعبة رمي القرص يوماً، وبدون قصد، يقتل بيرسيوس جدَه، كما أخبره العراف، ليصبح بعد ذلك ملكاً على

(40) يروي سيمونيدس أف كيوس (ط.الفرنسية، بيرك) ان داناي تم تعريضها في صندوق صلب كالمعدن (غايل، كتاب الاغاني الكلاسيكية، صفحة 52).

(*) ميدوزا البشعة، شخصية ميثولوجية اغريقية، كانت فتاة جميلة حتى ارتكبت الخطيئة مع بوسيدن في معبد أثينا فغضبت عليها اثينا وحولتها الى أمرأة بشعة المنظر شعرها عبارة عن ثعابين، فأنتقمت ميدوزا بدورها ان كانت تحول كل من ينظر اليها الى حجر.

أرغـوس، وبعـدها علـى تيريـاث ومؤسسـاً لـ مـايكين (موكناي).[41]

(41)وفقـاً لهـوزينخ فـان اسـطورة بيرسـيوس بنسـخها العديـدة يمكـن اثباتها ايضاً في اليابان. قارن ايضاً كتاب سيدني هارتلانـد، اسـطورة بيرسيوس ، 1894-96 ; ثلاثة مجلدات، لندن.

# كلكامش

يـروي ايليـان الـذي عـاش حـوالي 200 م فـي كتابـه "قصص الحيوان" قصة الصبي الذي أنقذه نسر كالتالي: (42)

"لدى الحيوانات عَطفٌ تجاه البشر، فقد ورد ان نسراً أطعـم طفـلاً، وسـأروي الحكايـة كاملـة كـدليل علـى مزعمي. عندما تولى سنخوروس الحكم على البابليين، نبأ لـه قـارؤوا البخـت الكلـدانيين بـأن حفيـده مـن أبنتـه سينتزع الحكـم منه، هـذه النبوءة التي قالها الكلدانيون أفزعت الملك، الذي قال مازحاً انه سيصبح اكريسيوس الثاني بسبب ابنتـه.(*) فوضـع علـى ابنته رقابة صـارمة، لكن قدر ابنته كان أقوى من البابليين، اذ حملت الفتاة سراً من رجل مجهول، ولشدة خوفهم من الملك قام الحـراس برمـي الطفـل مـن اعلـى الأكروبـوليس (قلعـة

(42) كتـاب كلوديـوس ايليـانوس "تاريـخ الحيـوان، 12،21, ترجمـة اف ار . جاكوبس (شتوتغارت1841 ,).

(*) راجع ملحمة بيرسيوس.

المدينة) حيث كانت تُسجن الأميرة. شاهد نسرٌ بعينيه الحادثين سقوط الطفل، وقبل ان يرتطم بالأرض، تلقاه على ظهره، حاملاً اياه الى بستان ليضعه على الأرض بحرص شديد. عندما شاهد القَيِم على المكان ذلك الطفل الجميل، أُعجب به وقام بأخذه وتربيته، وأطلق عليه إسم كلكامش، الذي أصبح فيما بعد ملكاً على بابل.

ليس لدي اعتراض، اذا اعتقد اي شخص ان هذه خرافة، على الرغم من أني قد بحثت عن الأمر قدر استطاعتي. كذلك ورد عن أخمينيس الفارسي، الذ يُرجَعُ اليه في نسب الفرس النبلاء، بأنه كان يسمى ايضاً حدقة النسر".[44]

(44) يقال أيضاً ان نسراً قد حمى الطفل بطليموس ابن لاغوس وأرسينوي بجناحيه ضد اشعة الشمس والمطر والطيور الجارحة. (نفس المصدر)

# قورش

اسطورة قورش تلك التي يضعها اغلب الباحثين وبدون أسباب مقنعة في مركز هذه الدائرة الأسطورية، نقلت الينا بعدة صيغ. تبعاً لما ذُكر في رواية هيرودتس (حوالي 450 ق.م)، والذي جاء في (الجزء الأول، صفحة 95)، انه ومن بين أربع ترجمات أطلع عليها، فأنه قد أختار النسخة الاقل تمجيداً بين قصص ولادة قورش ونشأته، وهي كما في الصفحة 107 وما يليها من الجزء الاول.[45]

ألت السلطة الملكية على الميديين الى الأبن أستياجيس بعد أبيه (كيخسرو)، كان لأستياجيس بنت اسمها ماندان (ماندانه). ذات مرة رأى استياجيس في منامه ان تياراً عارماً من الماء يخرج من ابنته ويملأ المدينة، ثم يغرق اسيا كلها. ولما سَردَ حلمه على

---

[45] أف، إي، لانجه (لانفه)، "تاريخ هيرودت"، (ريكلام)، قارن أيضاً "تاريخ العصور القديمة" لـ دَكنر (لايبزج، 1880)، العدد 5، صفحة 256 ومايليها.

مفسري الأحلام من السَحرَة، انتابه خوف شديد بعد ان فسروا له منامه كاملاً. لما كبرت ماندان لم يقم بتزويجها من شخص ميدي، ذلك الذي يكون كفوءاً، بل من فارسي، اسمه قمبيز. هذا الرجل ينحدر من عائلة متوسطة ويعيش حياة مستقرة، لكن الملك يعتبره أقل مرتبة من أي شخص ميدي ينحدر من الطبقة الاجتماعية الوسطى. وبعد أن اصبحت ماندان زوجة لقمبيز، رأى استياجيس حلماً آخر في السنة الأولى من زواجها. رأى في منامه أن كرمةً (شجرة العنب) نمت في حضن ابنته وغطت بأغصانها أسيا كلها. وبعد ان فَسَرَ حلمه العرافون هذه المرة، أرسل في طلب ابنته، التي كانت حاملاً، وحال وصولها من بلاد فارس، ظلَ يراقبها لأنه عزم على قتل ذريتها. ذلك ان العرافين والسحرة تنبؤا بأن حفيده سيكون ملكاً بدلاً عنه. ومن أجل تفادي هذا المصير، انتظر حتى يولد حفيده (قورش)، ليرسل في طلب هارباكوس، الذي كان من أقرباءه وأكثر شخص مؤتمن لديه بين الميديين، وكان يوليه جميع أموره. فكتب له التالي: "عزيزي

هارباكوس: سأوكل اليك مهمة خطيرة، يجب ان تتكفل بها بكل أخلاص، وان لا تخدعني ولا تدع احداً غيرك يتولاها، لأن ذلك سيجلب لك البلاء. خذ هذا الصبي الذي ولدته ماندان وأقتله. بعدها يمكنك دفنه بالطريقة التي تراها مناسبة." هارباكوس اجاب: " مليكي المعظم، لن تجد خادمك عاصياً، لك أمراً مطلقاً، اليوم وفي المستقبل سأتفادى ان أكون أمامك مذنباً. إن كانت هذه رغبتك فينبغي عليَ ان استجيب لها بأمانة." قال هارباكوس هذا والصبي موضوع بين يديه بكل زينته وَحُليَه لأجل أن يقتله، ثم عاد الى بيته باكياً. حين وصوله البيت أخبر زوجته بكل ما طلبه منه استياجيس. فقالت مستفسرةً، "ما انت فاعل؟" أجاب: لن أطيع استياجيس حتى لو كان غاضباً وعاصفاً أضعاف ما هو عليه الآن. لن انفذ رغباته، كي لا أكون متواطئاً مع هكذا قاتل. وعندي مجموعة من الأسباب: ففي المقام الأول; الطفل قريبي بالدم، ثم ان استياجيس كبير في السن وليس له وريث ذكر بعد موته، ستتولى ابنته المُلك، تلك التي يريد مني الآن قتل أبنها، ألَن أواجه

أعظم الاخطار؟ لكن الصبي يجب ان يموت، لضمان سلامتي الآن. على كل حال سيكون أحد رجال استياجيس قاتلاً للصبي وليس أحد رجالي."
حالما أنهى حديثه، بعث رسولاً في طلب احد رعاة ماشية الملك يدعى (ميثراداتس)، والذي كان حسب علمه يرعى في جبل مناسب للمهمة، لأنه مليء بالحيوانات البرية. كانت زوجة الراعي أيضاً جارية لأستياجيس، تدعى كينو باليونانية، و(سباكو) بالميدية (بمعنى مومس). حين وصل الراعي على عجل تنفيذاً لأمر هارباكوس، قال له الأخير: يأمرك أستياجيس ان تأخذ هذا الصبي وتعُرضه في العراء في أكثر المرتفعات قفاراً، لأجل أن يهلك بأسرع وقت، كما أمرني الملك أن أخبرك: انك إن لم تقتل الصبي، وتركته يعيش، بأي طريقة كانت، فأنك ستلاقي ميتة شنيعة، في الوقت الذي أنا ملزم به أن أتأكد من موت الطفل". عندما سمع الراعي بذلك أخذ الصبي عائداً الى بيته، وحينما وصل الكوخ وجد ان زوجته الحامل كانت تخوض الولادة طوال النهار، فقد حدث أن

باغتها المخاض ساعة ذهاب زوجها الى المدينة (تنفيذاً لأمر هارباكوس). لذا كان كل منهما قلقاً على الآخر. لكنه حين عاد ورأته بهذا الشكل الغير معهود، سألته في المقام الأول عن سبب طلبه من قبل هارباكوس بهذه العجالة. فقال لها: "زوجتي العزيزة، ليتني لم أرَ ما رأيته وسمعته في المدينة، وما يحدث لأسيادنا. لقد أذهلني ان بيت هارباكوس كان مليئاً بالصراخ والعويل. وبعد وقت قصير من دخولي، رأيت طفلاً صغيراً ملقىً أمامي، وهو ينازع ويبكي، ويرتدي ثياباً فاخرة وحُلياً ذهبية. حين رآني هارباغوس أمرني ان آخذ الصبي سريعاً وان أُعَرِضَهُ في أكثر قمم التلال قفاراً. قال ان هذا أمر أستياجيس، وقام بتهديدي بشكل مريع إن أنا فشلت في ذلك. فأخذت الطفل وذهبت به معتقداً انه يعود لأحد الخدم، لأنه لم يخطر في بالي غير ذلك. ولكن في الطريق عرفت بالقصة كاملة من الخادم الذي دلَني على طريق الخروج من المدينة، والذي وضع الصبي بين يدي. انه ابن ماندان بنت استياجيس وزوجها قمبيز ابن قورش، والذي أمر بموته هو

استياجيس. قال ذلك". بينما كان يكشف عن الصبي ويريه لزوجته، وعندما رأته المرأة طفلاً قوياً وجميلاً، خرَت باكيةً على قدمي زوجها، وتوسلت اليه الا يقتله. لكنه قال انه لا يستطيع أن يفعل غير ما أمُر به، لأن هارباكوس سيرسل أحداً من الحاشية ليتأكد من إتمام الأمر، وإلا فقد وعده بميتة مشينة. قالت مرة أخرى: "إن لم تقتنع، فأفعل التالي: لأجل ان يروا طفلاً مرمياً في البراري، فأنني انجبت طفلاً ميتاً، خذه وأرميه في البر، في الوقت الذي سنقوم بتربية حفيد استياجيس كأبن لنا. بهذه الكيفية، لن تكون انت خادماً ضالاً، ولا نُسيء نحن لأنفسنا. سيحصل طفلنا الميت على دفن ملكي، وسيتم الحفاظ على حياة الطفل الحي". فعل الراعي كما طلبت منه زوجته ونصحته ان يفعل. ألبسَ ابنه الحقيقي حلي وملابس الآخر ووضعه في سَلة، وقام برميه على أكثر التلال جدباً. بعد ثلاثة أيام، أخبر هارباكوس، أنه قادرٌ الآن على مشاهدة جثة الصبي. ارسل هارباكوس حراسه الشخصيين الأكثر ولاءً، وأمرهم بدفن جثة ابن الراعي. أما الولد الآخر الذي

عُرَف فيما بعد بـ (قورش)، فقد ربته زوجة الراعي لكنهم لم يسموه قورش إنما إسماً آخر.

بيد أن الحقيقة انكشفت عندما بلغ الصبي الثانية عشرة من عمره، من خلال الحادثة التالية: كان يلعب على الطريق مع صبية آخرين من عمره، في القرية التي تربى فيها الماشية. كان الأولاد يلعبون لعبة "الملك" وأختاروا ابن الراعي المفترض لهذا المنصب (46).

---

(46) "لعبة الملك" هذه نفسها تكررت في الأسطورة الهندوسية، كاندراجوبتا الذي يعتبر مؤسس سلالة مورجا، هذا الذي رمته أمه بعد ولادته في سلة (وعاء) على باب حظيرة الابقار، اذ وجده احد الرعاة وقام بتربيته. فيما بعد عندما أصبح راعياً للبقر، جاء الى (كفله) أحد الصيادين، عندما كان يلعب "لعبة الملك" مع الأولاد الآخرين. وكونه "ملكاً" أمر بقطع ايدي وأرجل المجرمين الكبار (عتاة المجرمين). [ ايقاعية البتر هذه حدثت ايضاً في ملحمة قورش ثم انتشرت بصورة عامة، بشكل واسع]. ومن ثم بأمره رجعت الأطراف المبتورة الى مكانها ووضعها الصحيح. كاناكجا الذي كان يراقب الصبية وهم يلعبون، أُعجب بالصبي واشتراه من الصياد بألف كارشابانا. وحين عاد الى منزله اكتشف بان الصبي هو مورجا. (حسب لاسين، في كتابه الحضارات القديمة الهندية القديمة، II، صفحة 196، الحاشية 1).

وبدوره أمر بعضهم ببناء بيوت وآخرين بحمل رماح، أحدهم جعله حارساً للملك، وآخر كلفه بحمل الرسائل، وبسرعة قام كل منهم بتأدية دوره. إلا واحداً من رفاقه (في اللعب)، وهو أبن أرتيمباريس، الرجل الذي كان ذو مكانة رفيعة بين الميديين، وعندما لم يطع أوامر قورش، أمر الأخير بتكبيله. وحين فعل الصبية ذلك، عاقبه قورش بضربه بقسوة. ومتى ما أطلقوا سراحه، استشاط غضباً بسبب المعاملة غير اللائقة، وركض الى المدينة يشكو الى أبيه ما فعل به قورش. لم يذكر إسمه بل سماه "ابن الراعي" لأن قورش لم يكنى بهذا الأسم بعد. ذهب أرتيمباريس غاضباً مع ابنه الى استياجيس، شاكياً من المعاملة المهينة من أحد خدمه قائلاً: "مليكي المعظم، نحن نشكو معاملة آثمة من احد خدمك، ابن الراعي"، ثم كشف له عن أكتاف أبنه. حين رأى أستياجيس ذلك وسمعه، اراد الدفاع عن الصبي إكراماً لأبيه ارتيمباريس، وارسل بأحضار الراعي وإبنه. وحين مثلا بين يديه، نظر استياجيس الى قورش قائلاً: "انتَ، ابن رجل بسيط تملك من الوقاحة ما

تعامل بها ابن رجل محترم بهذه الطريقة المخزية؟"
فأجاب قورش: "مولاي، لقد حصل على استحقاقه فقط لا أكثر. كان بين الاولاد الذين يلعبون في القرية، وقد جعلوني ملكاً عليهم، لأعتقادهم أني الأفضل لهذا الدور. فعل الصبية الآخرون ما أمرتهم به، إلا هو فقد كان عاصياً ولم يعرني اي إهتمام. ولذا استحق هذا الجزاء. ان كنتُ استحق العقاب على ذلك فها انا ذا تحت أمركم".
عندما تحدث الصبي بهذه الطريقة، تعرف عليه أستياجيس على الفور. لأن ملامح وجهه ظهرت وكأنها ملامحه هو، كما تبين من جوابه بأنه شاب نبيل، علاوة على ذلك بدا له ان وقت تعريضه في البراري يتوافق مع عمر الولد. آلم ذلك قلبه وبقي عاجزاً عن الكلام لبرهة. وبالكاد استعاد السيطرة على نفسه، ثم التفت متحدثاً الى ارتيمباريس ليتخلص منه، كي يتمكن من استجواب الراعي دون شهود. قال: "عزيزي ارتيمباريس، سأحرص على ان لا تتعرض أنت أو ابنك الى أذى". فأنصرف ارتيمبايس. اقتاد الخدم قورش في

هذه الاثناء الى القصر بأمر من أستياجيس، في حين بقي الراعي في الخلف. وعندما أختلى به سأله استياجيس: أنىَ حصلت على هذا الصبي؟ ومن جلبه أليك؟ زعم الراعي انه إبنه وان المرأة التي ولدته لازالت تعيش معهُ. لاحظ أستياجيس ان الراعي كان خائفاً من أشكال التعذيب التي تنتظره، وأشار الى حاملي السيوف للقبض عليه. وبينما كان يُقاد الى التعذيب، اعترف بكامل الرواية من بدايتها الى نهايتها، اعترف بالحقيقة كاملة، وبدأ أخيراً بالتوسل طالباً العفو والمغفرة. أستياجيس بقدر ما كان غاضباً من هارباغوس، أمر حراسه بأحضاره اليه، وعندما مَثُلَ أمامه سأله: "عزيزي هارباغوس، بأية طريقة انهيت حياة حفيدي الذي أرسلته إليك مرة؟: هارباغوس وحين رأي الراعي واقفاً بالقرب منه، لم يلجأ الى الكذب، خوفاً من أن يدحض كلامه على الفور، ولذا شرعَ في قول الحقيقة. أضمر استياجيس غضبه، وأخذ يخبره بما عَلَمِهُ من الراعي، ثم أخبره ان الصبي لا زال على قيد الحياة، وان كل شيء يسير على ما يرام. وانه نادم ندماً

عظيماً على ما فعله بالطفل، وان تأنيب ابنته قد مَزَقَ قلبه. وأضاف: "ولكن بما ان كل شيء قد انتهى على خير، أرسل ابنك لتحية الوافد الجديد، ثم ارجع لتناول الطعام معي، لأني أُعِدُ وليمة تكريماً للآلهة التي شاءت ذلك كله".

حين سمع هارباغوس بذلك، خَر ساجداً أمام الملك وحَمَدَ نفسه ان خطأه من أوصل الامور الى هذه النهاية، كذا فأن الملك دعاه الى وليمة، احتفاءاً بهذا الحدث السعيد. وهكذا عاد الى بيته، وأرسل ابنه ذو الثلاثة عشر ربيعاً على الفور ليذهب الى استياجيس والقيام بما أمره به. ثم اخذ هارباغوس يقص على زوجته بفرح غامر ما حدث معه. عند وصول الصبي الى استياجيس ذبحه، وقطعه أرباً، وأمرَ بشوي اجزاء منه، فيما قام بطبخ الأجزاء الأخرى، وجهز كل شيء لساعة الوليمة، التي حانت بعد وصول هارباغوس والضيوف الآخرين. تم ترتيب المائدة بحيث وُضِعَ الاكل المطبوخ بلحم الخراف أمام استياجيس وباقي الضيوف، ما خلا هارباغوس الذي كان لحم ابنه في

الآنية أمامه، غير اليدين والرجلين، لكن كل شيء آخر. تم الاحتفاظ بالأجزاء الغير مطبوخة مغطاة في سلة. عندما شبع هارباكوس تماماً، سأله استياجيس عما اذا كان مذاق اللحم الذي أكله طيباً، أجابه بأنه استمتع به، قام الخدم وبأمر الملك بإحضار السلة التي وضع فيها رأس إبنه مع اليدين والرجلين ووضعوها أمام هارباغوس، فأمره الملك بكشف الغطاء ليأخذ هارباغوس جزاءه، الذي حين رأى بقايا ابنه، لم يستسلم لخوفه بل سيطر على نفسه. سأله حينها استياجيس اذا كان يعلم بالذي أكلهُ; فقال: نعم يعلم ذلك جيداً، وان كل ما فعله الملك كان خيراً. وقام بلملمة بقايا جسد ابنه وذهب الى بيته لغرض دفنه.

كان ذلك هو انتقام استياجيس من هارباكوس. وأما موضوع قورش، فقام بأستدعاء نفس السحرة الذين فسروا حلمه في الأول، طالباً منهم اعادة تفسير الحلم له، الذين أكدوا التفسير الأول وقالوا ان الولد يجب ان يصبح ملكاً مازال على قيد الحياة، وسوف لن يموت قبل ذلك. قال استياجيس: "الصبي لا زال حياً، وهو

موجود هنا الآن، وحين كان ساكناً في الريف، اختاره اولاد القرية في لعبة ليكون ملكاً عليهم، فقام بدوره مثل الملوك الحقيقين، إذ نصب نفسه القائد، وجعل له حملة سيوف وحراس بوابة ومراسلين وكل شيء يتطلبه الدور، كيف تفسرون هذا؟" أجاب السحرة: "اذا كان الصبي حياً، وجعل نفسه ملكاً بدون مساعدة أحد، لا داعي ان تكون قلقاً من أمره، بل ان ذلك يبدو مشجعاً وأن لا يكون ملكاً حقيقياً. كما ان بعضاً من نبؤاتنا قد انبرت فعلاً عن أباطيل تافهة، وما يبنى على الأحلام قد يكون هراءاً." قال استياجيس :" ايها السحرة، انا مؤمن تماماً برأيكم ان الحلم قد تحقق حين كان الصبي ملكاً بالأسم فقط، وليس لدي الآن ما أخاف منه. لكني اطلب منكم المشورة بما هو أصلح لعائلتي ولشعبي. فأشاروا: "ارسل الصبي بعيداً عن أعينكم، الى بلاد فارس اي الى والديه." فرح استياجيس كثيراً لهذه المشورة. وأرسل في طلب قورش قائلاً له: " بُنيَ لقد ظلمتك كثيراً، فقد ضُللِتُ بحلم خادع، لكن حُسن حظك قد أنقذك، الآن اذهب بكل سرور الى ارض

فارس حيث سأوفر لك رحلة آمنة، هناك ستجد والدين مختلفين تماماً عن الرعاة ميثرالاتيس وزوجته." وأمر بأرساله بعيداً. حين وصوله الى منزل قمبيز، استقبله والداه بترحيب حار، فرحوا كثيراً عندما عرفوه، لأنهم اعتقدوا أنه قد هلك حين كان رضيعاً، كانوا مهتمين بمعرفة كيف بقي حياً هذه المدة. قال أنه كان يصدق لفترة انه أبن الراعي، لكن الحرس الذين ارسلهم استياجيس معه أخبروه بكل شيء خلال الطريق.
وأضاف ان زوجة الراعي هي التي أنقذته، كان يثني عليها طوال الوقت. العاهرة (سباكو) اخذت الدور الرئيسي في حديثه. في الوقت الذي تشبث الوالدان بهذا الأسم (سباكو العاهرة) لتكون حكاية نجاة الطفل أكثر أثارة، وهذا ما وضع اساس الأسطورة القائلة: ان قورش (المنفي) قد تم رعايته من قبل عاهرة.
فيما بعد وبتحريض من هارباكوس، ألَب قورش الفرس ضد الميديين. حتى قامت الحرب بينهما، وكان قورش على رأس الفرس الذين انتصروا في الحرب. ,أُسِرَ استياجيس، لكن قورش لم يسئ اليه بل ابقاه عنده حتى

موته. ويختتم هيرودتس روايته بالعبارات التالية: " ومنذ ذلك الوقت حكم الفرس بقيادة قورش آسيا كلها، هكذا وُلِد ونشأ قورش."

رواية بومبيوس تروجوس المذكورة فقط في مقتطف لـ جوستينوس[47]: كان لأستياجيس ابنة واحدة ولم يكن له وريث من الذكور. ورأى في منامه ان كَرمَةً نبتت في حضنها، ثم غطت أغصانها آسيا بكاملها. الأمر الذي فسَره العرافون، بأن الرؤيا تدل على عظمة مكانة حفيده الذي ستلده ابنته، ويدل أيضاً على فقدان استياجيس لسيادته على المملكة. ولأجل التخلص من خوفه، لم يزوج استياجيس ابنته من رجل بارز ولا لأحد الميديين، كي يحرم حفيده من الطمع بالحكم بسبب نسبه الابوي الميدي، اضافة لمكانة أمِه، بل قام بتزويجها لرجل فارسي من الطبقة المتوسطة غير معروف اجتماعياً، يدعى قمبيز. بيد ان ذلك لم يكن

---

(47) جوستينوس " مقتطف من تاريخ فيليبي لبومبيوس تروجس، الجزء I، 4-7. وبقدر ما كان ذلك هو المصدر، فأن كتاب درنيون، قصص فارسية، (الذي كتب في النصف الأول من القرن الرابع ق.م.) هو المصدر المحتمل لرواية تروجس.

كافياً لتبديد مخاوف استياجيس، فقام بأستدعاء ابنته الحامل لتسكن عنده، كي يستطيع ان يقتل وليدها أمام عينه. ولما ولد الطفل، اعطاه لصديقه وثقته هارباكوس ليقتله. تخوف هارباكوس من أن ابنة استياجيس ستنتقم لمولودها، عندما تصبح ملكة بعد موت والدها، لذا سَلمَ الصبي الى راعي الملك ليقتله. كان للراعي طفلاً ولد في نفس وقت ولادة قورش وحين علمت زوجة الراعي بأن أبن الملك قد تم تعريضه في البراري، كانت تصلي ان يُجَلبَ لها، لتنظر اليه. وهكذا رجع الراعي الى الغابة متأثراً بتوسلاتها. هناك وجد كلبة تقف بجانب الرضيع، ترضعه من ثدييها، وتبعد عنه الوحوش والطيور الجارحة. المنظر الذي جعل شعوراً يعتريه كما هو شعور الكلبة; فأنتشل الصبي وحمله عائداً الى بيته، والكلبة تتبعه بحزن شديد. عندما اخذت زوجته الصبي بين ذراعيها، ابتسم لها وكأنه يعرفها مسبقاً وبما انه كان طفلاً قوياً للغاية، وحَبَب نفسه لها بتلك الابتسامة المثيرة للأعجاب، توسلت الراعي بما أوتيت من إرادة (ان يقوم بتعريض طفلها في البراري

بدلاً منه) [48] وان يسمح لها بتربيته؛ بغض النظر عما اذا كانت مهتمة بمصلحته أم أنها علقت أمالاً عليه. وهكذا كان على الصبيين أن يتبادلا مصيرهما، الأول تربى بدلاً من ابن الراعي، والآخر عُرِضَ في البراري بدلاً من حفيد الملك.

أما تتمة هذه الرواية بنسختها الأقدم فأنها تتوافق بصيغتها الأساسية مع الرواية السابقة لهيرودتس.

بينما توجد رواية مختلفة تماماً من اسطورة قورش لـ كيتيسياس، وهو احد معاصري هيرودتس، التي فقدت مخطوطتها الأصلية، لكنها ذكرت في رواية نيكولاس الدمشقي[49]. يلخص الدمشقي هذا الجزء من رواية كيتسياس، التي ذكرها في أكثر من كتاب ألفه حول (تاريخ بلاد فارس). يقال ان أستياجيس كان أعظم ملوك الميديين بعد أباكيس . وفي فترة حكمه حدث التحول الكبير بأنتقال السلطة من الميديين الى الفرس،

---

(48) يقال ان الكلمات الموجودة بين القوسين غير موجودة في بعض النصوص (المخطوطات).

(49) نيقولا الدمشقي. فراغ. cets،66 ; فراغ. Pers, 2,5.

والسبب كما يرويه: كان لدى الميديين قانوناً ينص على ان الرجل الفقير حين يذهب الى رجل غني طالباً اعالته، أسيراً له، فعلى الغني ان يطعمه ويكسوه ويعامله كعبد له، وفي حال رفض الرجل الغني ذلك فللفقير الحرية في الذهاب الى غني آخر. وعلى ضوء ذلك جاء صبي من قبيلة مارد (*) اسمه قورش الى خادم الملك الذي كان مسؤولاً عن كَناسي القصر. قورش هذا ابن اتراداتس، الذي اجبره فقره ان يكون لصاً، بينما زوجته أرجوست تكسب لقمتها من رعي الماعز. لقد أسلَمَ قورش نفسه من أجل قوته اليومي، ليعمل في تنظيف القصر. ولكونه مجتهداً في عمله فقد حصل على ملابس جديدة من قبل رئيسه، وتم ترقيته من عامل نظافة في الخارج الى عامل نظافة داخل قصر الملك، ووضعه تحت إشرافه. لكن هذا الرجل كان قاسياً وكان غالباً ما يجلد قورش. فتركه وذهب الى

---

(*) قبيلة فارسية تسكن سواحل بحر قزوين.

مُشعِل المصابيح، الذي كان يحب قورش، فقربه الرجل من الملك، أن وضعه من حَمَلَةِ الشعلة الملكية. قورش الذي تميز في موقعه الجديد، جاء الى ارتيمباريس، ساقي الملك، طالباً العمل معه. رَحبَ به ارتيمباريس وقبله بكل سرور، ورشحَه ليصب النبيذ للضيوف على مائدة الملك. خلال ذلك، لاحظ أستياجيس المهارة والذكاء على طريقة عمل قورش، وَطريقته الأنيقة في تقديم النبيذ، ما دفعه الى سؤال ارتيمباريس: أنىَ جاء هذا الشاب الذي كان محترفاً في تقديم النبيذ؟ فقال: "مولاي، هذا الغلام عبدٌ لَك، من أصل فارسي، من قبيلة مارد، أسلَمَ نفسه لي من أجل قوته اليومي. كان ارتيمباريس هذا كبيراً في السن، وعندما أصابته نوبة حمى مرةً، توسَلَ الى الملك ليسمح له البقاء في البيت لحين شفاءه، "سيكون الشاب الذي أثنيتَ عليه بديلاً عني في خدمتكم، واذا رضيت عنه يا مولاي، فسأتخذه أبناً لي، لأني خصَي." وافق الملك على ذلك، بينما قام ارتيمباريس بمعاملة قورش كأبن له وقصَ عليه أسرارِ كثيرة. وهكذا كان قورش قريباً من الملك، يصب له

النبيذ ليلاً ونهاراً، مظهراً قدرة وذكاءاً كبيرين، منحه أستياجيس نفس معاش ارتيمباريس، بل زاده بعض الهدايا، كما لو كان أبناً له. أصبح قورش رجلاً عظيماً يذكر اسمه في كل مكان.

كان لأستياجيس ابنة نبيلة وجميلة جداً[50]، كان قد زوجها الى رجل ميدي يدعى سبيتاماس (ممكن أن يكون زرادشت)، معطياً كل (ميديا) [*] مهراً لها. ثم ان قورش أرسل بأحضار أمه وابيه الى ارض الميديين، الذين ابتهجوا بالمكانة التي وصل لها ابنهم، ما دعى امه ان تخبره بالحلم الذي رأته حين كانت حاملاً به اذ هي نائمة في المعبد خلال رعيها للماعز (تلوذ به لتأخذ استراحة). رأت انه خرج منها الكثير من الماء حتى صار سيلاً جارفاً غمَر أسيا كلها ووصل حتى البحر. لما سمع الأب بالحلم طلب أن يُقَص على الكلدانيين في بابل. استدعى قورش أحكم العرافين ليخبره بمعنى

---

(50) اسم هذه البنت هو أميتيس (وليس مانداان) في رواية (نسخة) كيتيسياس.

(*) معطياً لها (ميديا) كمهر أي بلاد ميديا ربما يعني انه جعلها وريثة عرشه كونه يملك ارض ميديا.

هذا الحلم، فأخبروا قورش بأن الحلم ينبيء بمستقبل ومكانة عظيمة، ربما المنزلة الأعلى في آسيا، لكن لا ينبغي لأستياجيس ان يعلم بذلك، "وإلا سيقتلنا أنا وأنت بصورة بشعة". أقسم كل منهما للآخر بأن لا يخبروا أحداً (بفحوى) هذه الرؤيا العظيمة التي ليس لها نظير. فيما بعد ارتقى قورش لمراتب أعلى. وجعل أباه (مرزباناً) (*) على بلاد فارس ورفع أمه الى أعلى مرتبة بين النساء الفارسيات، وأكثرهن ثروة. ولكن وبعد فترة وجيزة قُتل العراف على يد أوباريس احد أعوان قورش، قامت زوجة العراف بأخبار الملك بذلك الحلم المشؤوم، في الوقت الذي كان قورش خارجاً في حملة الى بلاد فارس تحضيراً للتمرد والعصيان ضد الملك. أمر الملك فرسانه باللحاق بقورش وإحضاره حياً أو ميتاً. لكن قورش أفلت منهم بمكره، وفي النهاية حدثت معركة بينهم أنتهت بهزيمة الميديين، قام قورش بعدها بغزو إيجباتانا (ربما هي مدينة همدان/ ايران حالياً) وفيها تم آسر بنت استياجيس وزوجها سبيتاماس

(*) المرزبان: رئيس الفرسان، شخص مُقَدمّ على القوم دون ملكهم.

مع اولادهما الاثنين لكنه لم يستطع العثور على أستياجيس، لأن أميتيس وسبيتاماس أخفوه تحت عوارض سقف القصر. ما دعا قورش أن يأمر بتعذيب أميتيس وزوجها وأطفالها حتى يخبروا عن مكان أختباء استياجيس، لكنه أظهر نفسه طوعاً حتى لا يتعرض ذووه الى الأذى بسببه. أمر قورش بأعدام سبيتاماس لأفادته بعدم معرفته بمكان أختباء استياجيس. وتزوج من أميتيس. بعدها قام بالعفو عن استياجيس وفك اغلاله التي قيده بها أوباريس، وأكرمه كأب له وجعله مرزباناً على البركاتيين (احد الشعوب التابعة للميديين).

هناك تشابه كبير بين رواية هيرودتس لأسطورة قورش مع رواية الفردوسي في الشاهنامة (في حديثه) عن التاريخ المبكر للبطل الملكي الايراني كيخسرو، هذه الأسطورة هي الأكثر اسهاباً. رواها شبيغل في كتابه (العصور الايرانية القديمة، I، صفحة 581 وما يليها).

خلال الصراع الذي دار بين كيكاوس ملك باختري(*)

---

(*) حضارة قديمة تسمى الان (بلخ) او (باختري) بالفارسي (تمتد بين افغانستان وطاجكيستان واوزبكستان وتركمستان حالياً).

ضد ملك طوران (افراسياب)، اختلف كيكاوس مع آبنه سياوخش، الذي لجأ الى افراسياب طلباً للحماية حيث استقبله بحفاوة، ثم زوجه من إبنتهِ فرنجيس، بعد ان قام الوزير بيران بأقناع الملك بذلك، على الرغم من ان بيران كان قد علم بنبؤة بأن الأبن الذي سيولد من هذا الزواج سيجلب له مصيبة كبيرة. يقوم شقيق الملك جارسيفاز بتحريض أخيه سياوخش، رغم الرحم بينهما، فيقوم الملك بتجهيز جيش ضده. كان سياوخش قد تلقى تحذيراً بعد حلم رآه ينبئ بالدمار والموت له، لكنه يجلب لذريته الملك. لذا هرب من أفراسياب، لكن تم أسره وقتله بأمر من الشاه. أما بيران فقد استطاع انقاذ زوجته الحامل من بين ايدي القتلة على شرط ان يعلن حينها عن تسليمها الى الملك، فيأخذ بيران الأذن بالأحتفاظ بأبنة الملك في منزله. ذات ليلة يأتيه شبح سياوخش في المنام ليخبره ان (المنتقم) قد وُلِدَ، وعندما ينهض بيران ويذهب الى غرفة فرنجيس يجد فعلاً مولوداً جديداً، يسميه كيخسرو. لم يعد أفراسياب يُصَر على قتل الصبي، بل أمرَ بيران بتسليم

الطفل مع مربية خاصة الى الرُعاة، الذين كانوا سيربونه جاهلين أصله. بيد أن سلوكه القويم وشجاعته تكشف بوضوح عن أصله الملكي. وحين أعاد بيران الصبي الى منزله، إرتاب أفراسياب وأمر بأحضار الصبي أمامه. وكي لا يصيبه من الملك سوء يأمره بيران بأن يلعب دور المجنون او المخبول[53]، حينها قام الشاه

---

(53) يظهر ان هذا الدافع المتمثل في دور (محاكاة) الجنون أو الخرف وما شابهها من ادوار انطلق منها جيريتشك في مقالته ("هاملت في أيران"، في مجلة جمعية الفولكلور، المجلد العاشر، صفحة 353، سنة 1900) على انها نسخة مختلفة عن اسطورة كيخسرو الايرانية. أيد هذه الفكرة ليسمان في كتابه ("ملحمة قورش في أوربا")، والذي بَين ان ملحمة هاملت تتطابق بشكل ملفت للنظر في بعض اجزاءها، مثل ادعاء الجنون مع ملامح بروتوس وكذلك تيل. وفي سياق آخر، فقد تناول المقومات الاساسية لهذه الروابط وبشكل اكثر تركيزاً مع مصادر ملحمة تيل. (أنظر: أصل سفاح القربى في الشعر والاسطورة، الفصل الثامن). تجدر الأشارة هنا الى قصة داود كما جاءت في مؤلفات صاموئيل، اذ هنا ايضاً يصبح سليل الملكية راعياً، والذي يتدرج في المراتب الاجتماعية حتى يصل عرش الملكية، فمثلاً أنه يتزوج من بنت الملك شاؤول، وأيضاً يقوم الملك بمطاردته للقضاء على حياته، لكن داود يُنقذ دائماً من المخاطر الكبرى بوسائل اعجازية، كذلك فهو يتجنب الاضطهاد من

(بأرساله) الى أمه. ثم ينصب كيخسرو ملكاً من قبل جده كيكاوس. وبعد معارك طويلة ومعقدة ومضنية وبمعونة ربانية يؤسر الملك أفراسياب فيأمر كيخسرو بقطع رأسه ورأس أخيه كارسيفاس.

الملحمة السابقة تُظهر تشابه وان كان بعيداً نوعاً ما مع اسطورة فريدون الأيرانية، كما رواها الفردوسي في كتابه "اساطير الأبطال الفرس"، ترجمة شاك. صخاك[54]، ملك ايران، رأى في منامه، ثلاثة رجال من

---

خلال ادعاء الخرف ولعب دور المجنون. اشار كل من جيرزيك وليسمان الى وجود علاقة بين ملحمة هاملت وملحمة داود، في الوقت الذي أكد فيه جيرزيك على الطابع التوراتي للدورة الاسطورية بأكملها، كذلك أكد انه وجد في موت سياوش علامات مؤكدة من نظرية (آلام المنقذ).

(54) اسم زاهاك (صخاك) هو مشتق من أصل التعبير الزندي [ازيس – داهاكا] ويعني الثعبان الخبيث (أنظر بحث د.ر. روث، الموسوم اسطورة فريدون بين الهند وايران، والمنشور في مجلة المجتمع الشرقي الألماني، الجزء الثاني، صفحة 216)، اسطورة فريدون الايرانية تتطابق مع الأسطورة الهندوسية ترينا، والذي يكون زوجها الأفستي هو ثرايتونا. الصيغة الأخيرة المذكورة هي المتفق عليها بشكل سائد لأنها تشكلت عن طريق التدرج في الأصوات المنطوقة،

قبيلته، اثنان منهم انحنى ظهرهما بسبب التقدم في السن، بينما الثالث كان شاباً يحمل في يده اليمنى هراوة نهايتها رأس ثور (تسمى المقمعة وهي سلاح الرعاة في ذلك الزمان)، تقدم هذا الشاب نحوه وهوى عليه بعصاه فأسقطه صريعاً. فسَر العرافون الحلم بأن البطل الشاب الذي سيخلعه عن العرش يسمى (فريدون) وهو من قبيلة جمشيد. فينطلق صخاك على الفور بحثاً عن أثرٍ لعدوه المرعب. فريدون هو أبن أبتين وحفيدٌ لـ جمشيد. أختبأ ولده من مطاردة الطاغية (صخاك) لكنه قُبِضَ عليه وقُتل. أما فريدون نفسه فكان صبياً في مقتبل العمر، انقذته والدته فيرانك اذ هربت به وعهدت به الى حارس الغابة البعيدة. حيث قامت البقرة بأرضاعه. بعد بقاءه ثلاث سنوات في هذا المكان، لم تعد والدته تأمن عليه، فقامت بأخذه وتأمينه عند راهب (ناسك) على جبل البُرز. وفعلاً بعد وقت

---

إلأفريدونا، ثم فريدون أو أفرودين، أما فرَيدون فهو التحوير (التطور) الأحدث، قارن في ذلك ف. شبيجل، العصور الايرانية القديمة، الجزء الأول، صفحة 537 وما يليها.

قصير يأتي صخاك الى الغابة ويقتل الحارس والبقرة المرضعة.

عندما بلغ فريدون السادسة عشر من عمره، نزل من جبل البُرز، وعرف بأصله من والدته التي أقسم لها على الانتقام لمقتل والده ومرضعته. فقاد حملة ضد صخاك برفقة شقيقيه الأكبر سناً بورحاجي وكيانوسيه. هنا يطلب ان تصنع له مقمعة يزينها رأس ثور تخليداً لأمه الحاضنة البقرة، وبهذه المقمعة يهوي بضربة على صخاك فيقتله كما كانت النبؤة.

# تريستان

يمكـن متابعـة خلاصـة حكايـة فريـدون فـي ملحمـة تريستان كما وردت في القصيدة الملحمية لـ غوتفريد فـون شتراسـبوغ. ويتضـح ذلـك فـي مقدمـة ملحمـة تريستان بشكل خاص، والتي تتكرر لاحقاً في مغامرات البطـل نفسـه (الازدواجيـة). ريـوالين، ملـك البـارمينيين وخـلال رحلتـه الاستكشـافية الـى بـلاط مـارك، ملـك كورنيـوال وانكلتـرا، تعـرف علـى الجميلـة بلانشـفلور أخـت الملـك، والتـي الهبـت قلبـه بحبهـا. وحـين كـان يسـاند مـارك فـي احـدى حملاتـه العسـكرية، أصـيب ريـوالين بجـروح مميتـة، ليـتم حملـه الـى تينتـاجول، سـارعت بلانشـفلور المتنكـرة بـزي خادمـة متسـولة الـى فـراش مرضـه، لينقـذ حبهـا المتفـاني حيـاة الملـك ثـم تهرب مع عشيقها الى موطنه الأصلي (العوائق)، وهناك تـم اعـلان زواجهمـا. وعنـدما هـاجم مورغـان اراضـي ريـوالين، كلـف الأخيـر خادمـه المخلـص روال بحمايـة زوجته التي كانت حاملاً، فيقوم روال بوضع الملكة في

قلعة كانيل الآمنة، حيث تنجب فيها الملكة صبياً وتفارق الحياة، بينما يسقط زوجها صريعاً في معركته ضد مورغان، فيبادر روال بإشاعة خبر ولادة الطفل ميتاً من أجل حماية ذرية مليكه من ملاحقة مورغان. يُسمى الطفل تريستان، لمرافقة الحزن لوقت حمله وانجابه(*)، وتحت رعاية والديه بالتبني، شبَ تريستان صادقاً، سَوِياً في بدنه وعقله، حتى اذا بلغ الرابعة عشر عاماً اختطفه تجارٌ نرويجيون، بيد أنهم خافوا سخط الآلهة فقاموا بتركه على شاطيء كورنويل. هنا يعثر على الفتى جنود الملك مارك، الذي كان مسروراً جداً بالفتى لشجاعته عدا عن وسامته، فيقوم بتعيينه مسؤولاً عن الصيد (المهنة)، ويحتضنه بخالص الحب والمودة. في تلك الاثناء كان المخلص راوال قد بدأ رحلة البحث عن ابنه المتبنى المختطف، وقضى الطريق داعياً متوسلاً، ليجده أخيراً في كورونويل. كشف روال عن نسب تريستان الى الملك، الذي يبتهج برؤية ابن أخته العزيزة ويرفعه الى مرتبة فارس. يمضي تريستان

(*)كلمة trista (تريستا) تعني في اللغة الرومانية القديمة: حزين.

بصحبة راوال في حملة الى بارمنيا من أجل الانتقام لمقتل أبيه، فيدمر المحتل مورغان، وينصب راوال ولياً عليهاً، بينما يرجع هو نفسه الى خاله مارك. (حسب كوب: تفسيرات ملحمة تريستان لـ فاغنر، مكتبة الأصلاح).

تستمر ملحمة تريستان المعروفة في تكرار سماتها الاساسية، ففي مهمة لخدمة خاله مارك، يقوم تريستان بقتل مورالد ولي أمر ايزولد، ويصاب بجراح مميتة، فتنقذه ايزولد، التي يقوم بطلب يدها لخاله الملك مارك(*)، بعد أن ينفذ الشرط المطلوب بقتل التنين، فترافقه بتردد الى كورنويل، مُبحرين اليها بسفينة، واثناء الرحلة يتشاركان وبدون قصد تناول جرعة الحب المنحوسة، تلك التي تربطهما بشغف جنوني، فيقوما بخيانة الملك مارك، وفي ليلة الزفاف تضحي برانغاني خادمة ايزوالد المخلصة بعذريتها، وتنتحل شخصية الملكة في الفراش. ليتم بعدها نفي تريستان، الذي ما فتيء يحاول استعادة حبيبته، بالرغم من انه تزوج في

(*) يبدو ان مهمته في الأساس كانت طلب يد ايزوالد كزوجة لخاله.

تلك الفترة من ايزولد ذات اليد البيضاء والتي كانت تشبه حبيبته ايزولد، وأخيراً يصاب مرة أخرى إصابة مميتة، لتصل ايزولد متأخرة على إنقاذه.[57]

من ناحية الخصائص المميزة لأسطورة ولادة البطل هناك نسخة أكثر بساطة من ملحمة تريستان تم اعتمادها في حكاية خيالية تسمى "العروس الحقيقية" التي أُقتبست بواسطة ريكلين في كتابه ("تحقيق الرغبات

---

(57) قارن مع كتاب إيرمان " تريستان وايزولدا، قصيدة في الرومانسية"، دولدروف، 1841. كما في ملحمة غوتفريد ستراسبورغ، تبدأ قصيدته بالحكاية الأولية عن علاقة الحب بين والدي تريستان، ملك بارمنيا ريوالن كانلنجرس وأخت الملك مارك الجميلة بلانشفورد. لم تكشف الفتاة العذراء عن حبها الذي لم يكن اخوها يقبل به، لكنها تفقدت الملك ريوالن في حجرته وكان مصاباً أصابة مميتة، لكنه وقبل موته أعقب في جوفها تريستيان "أبن علاقة الحب الأكثر جرأة وحزناً". نشأ كلقيط برعاية روال وزوجته فلوريتي، الشاب الفاتن الجمال تريستان يقدم نفسه كخبير صيد الى الملك مارك خلال رحلة صيد للأيائل، ما جعل الملك يميزه على انه ابن اخته بلحاظ الخاتم في يده، الذي كان هدية الملك لأخته المحبوبة، ثم يجعله مقرباً منه.

والرمزية في القصص الخيالية"، صفحة 56)[58] من ضمن مجموعة ريترهاوس للقصص الخيالية (ج27،صفحة 113).

تقول الحكاية ان هناك زوجان ملكيان ليس لديهما أطفال، يهدد الملك زوجته بالقتل ان هي لم تنجب طفلاً بحلول وقت عودته من رحلته البحرية، فتبادر خادمته الحريصة بأخذ زوجته إليه خلال رحلته لتُقَدم له باعتبارها الأفضل بين ثلاث نساء كُنَ يتنزهن على الشاطيء يومها، فيأخذها الى خيمته دون ان يدرك انها زوجته[59]. تعود بعد ذلك الى قصرها، لتموت اثناء ولادة ابنتها أيزول. لاحقاً تعثر أيزول على صندوق عند شاطيء البحر وفيه واحداً من أجمل الأطفال إسمه تريسترام، فتقوم برعايته ليصبح خطيبها فيما بعد. ما تبقى من الحكاية والتي تتضمن دافع "العروس الحقيقية"، يستحق أن اتعرض له في بحثي هذا، قدر

---

(58) انظر ايضاً الى ترجمة الدكتور دبليو. أي. وايت، كتاب مراجعة التحليل النفسي، المجلد الأول، رقم 1، وما يليها.

(59) قارن تبديل العروس من قبل الخادمة برانغاني.

تعلق الأمر بتوافق حدوث "شربة محو الذاكرة" ووجود شخصيتين بأسم "أيزولد"، اذ تُكمل الحكاية: ان الزوجة الثانية للملك تُسقي تريسترام جرعة تجعله ينسى ايزول الشقراء تماماً، حتى توجه رغبته باتجاه الزواج من ايزوتا السمراء. بيد أنه في النهاية يكتشف الخدعة ويرتبط بأيزول.

# رومولوس

النسخة الأصلية من حكاية رومولوس وروموس كما رواها فابيوس بيكتور أقدم مؤرخ روماني، تُرجمت من قبل مومسن[60] كما يلي: التوأمان اللذان انجبتهما إيليا ابنة الملك السابق نوميتور من عناقها مع إله الحرب مارس، حكم عليهما من قبل ملك ألبا الحالي أموليوس برميهما في النهر، أخذ خدم الملك الطفلين وحملوهما من مدينة ألبا الى ابعد مكان في نهر التيبر عند هضبة بالاتين، ولكن حين حاولوا نزول الهضبة وصولاً الى النهر، تنفيذاً للأوامر، وجدوا ان النهر قد ارتفع وأصبحوا غير قادرين على بلوغ شاطئه، لذا قاموا بدفع الطشت الذي وضعوا فيه الطفلين في المياه

---

(60) انظر ثيودور مومزن، "الألهة أكا لارينتيا الحقيقية والمزيفة"; في احتفالات جي هيومر (برلين، 1891)، صفحة 93 وما يليها; وكتب بحثية رومانية (برلين، 1879)، 2، صفحة 1 ومايليها. مومزون اعاد بناء قصص فابيوس المفقودة من المنشورات المحفوظة للمؤرخ الاغريقي ديونيسيوس (1، 79-831، ومن الفيلسوف والمؤرخ اليوناني بلوتارغ او كما يدعى بلوتارخس (رومولوس)).

الضحلة على الشاطيء، جالَ الطشت قليلاً طائفاً على الماء، لكن سرعان ما أنحسر الماء، واصطدما بصخرة، لينقلب الطشت، تاركاً الرضيعين يصرخان في وحل ذلك النهر، عندها تسمعهما ذئبة انثى، كانت قد ولدت للتو وأمتلأ ضرعها بالحليب، فتأتي لهما وتقدم حلماتها الى الطفلين من أجل ارضاعهما، وتقوم اثناء ذلك بتنظيفهما لعقاً بلسانها، فوقهم أيضاً كان طائر نقار الخشب يحرسهما ويجلب لهما الطعام. وكأن المشهد ان الأب يعيل أولاده: فالذئب ونقار الخشب حيوانات نذرت نفسها لخدمة الإله مارس. هذا المشهد أثار أنتباه احد رعاة ماشية الملك، حين كان يسوق خنازيره عائداً الى المرعى من المكان الذي انحسر فيه الماء، فوقف مذهولاً مما ترى عيناه، واستدعى رفاقه، الذين وجدوا الذئبة تعتني بالأطفال عناية الأم بولدها، كما أن الأطفال يتعاملون معها كما هي أمهم. قام الرجال بأحداث ضجة عالية لإخافة الذئبة حتى تتركهم وتذهب بعيداً، لكنها لم تخف، بل قامت بالانسحاب ببطء وهدوء بدون تنبيه الرعاة وأختفت في فلاة الغابة،

في البقعة المقدسة لأله الغابة فاونوس، في المكان الذي تتدفق المياه إليه من أخدود في الجبل. اثناء ذلك التقط الرجال الطفلين وحملوهما الى فاوستيلوس، رئيس رعاة خنازير الملك، لاعتقادهم بأن الآلهة لم تشأ للطفلين ان يهلكا. وتشاء الصدفة ان زوجة فاوستولوس كانت تغط في حزن عميق، لولادتها تواً طفلاً ميتاً، فبادر زوجها بأعطائها التوأمين، اذ تبادر بإرضاعهما، ويقرر الاثنان تربية الطفلين، ويطلقان عليهما اسماء رومولوس وريموس.

بعد تأسيس مدينة روما، قام الملك رومولوس ببناء منزلاً له قرب المكان الذي استقر عنده الطشت حين وجدوه وأخوه، أما ذلك الأخدود حيث اختفت الذئبة فصار يعرف منذ ذلك الوقت بأخدود الذئبة (لوبركال)(*). كما اقيم في نفس البقعة تمثال من معدن

(*) لوبا في اللغة اللاتينية تعني أنثى الذئب (Lupa).

نفيس يمثل الذئبة والتوأمين[62]. أما الذئبة "لوبا" نفسها فصارت تعبد كإله من قبل الرومان.

خضعت ملحمة رومولوس لاحقاً الى تغييرات وتشويهات واضافات وتفسيرات متعددة[63]،لكن النسخة الأشهر هي ما نقله ليفي (ج1، صفحة3 وما يليها)، والتي توضح لنا قدراً مهماً عن مصير التوأمين السابق واللاحق. اذ تقول أن الملك بوركا يُورث عرشه الملكي الى ابنه البكر نيوميتور، لكن أخاه الأصغر أموليوس يقوم بإزاحته عن العرش، وينصب نفسه ملكاً، ولكي لا يسعى أحد من عائلة أخيه نوميتور للأنتقام منه، يقوم بقتل الذكور من عقب أخيه، أما البنت سيلفيا، فيختار لها ان تكون راهبة، وهكذا يحرمها من أي أمل في ذُرية من خلال العذرية الأبدية كما هو مفروض عليها، واكتسابها صفة الأمتياز الأكثر توقيراً، غير أن

---

(62) تعتبر الذئبة كابيتولينا عمل من الفن الارترورري او الاتروسكاني القديم جداً، والذي تم تشييده في كهف لوبركال في عام 296 قبل الميلاد، وفقاً للمؤرخ الروماني ليفي (X,231).

(63) قام المؤرخ الالماني تشفيغلير بجمع كل هذه الترجمات في كتابه التاريخ الروماني، المجلد الاول، صفحة 384 وما يليها.

الراهبة العذراء تعرضت للأغتصاب، فولدت توأماً، وادعت ان الإله مارس هو والد ذريتها الغير شرعية، ربما خوفاً من ادانتها، أو انه قد بدا لها ان الإله مشرف لها أكثر من الجاني.

تستأنف حكاية تعريض الطفلين في نهر التيبر كالتالي: تروي الحكاية ان الطشت الذي تم تعريض الطفلين فيه، قد استقر على اليابسة بعد انحسار الماء، اما الذئبة الظمأى فيدفعها صوت صراخ الطفلين الى النزول من التلال القريبة، لتبذل لهما حلماتها. ويقال ان المُسمى فاوستولوس رئيس رعاة الملك قد عثر على الطفلين وأخذهما الى العزبة حيث زوجته لارنتيا، وهناك نشأ الطفلان، والبعض يعتقد ان الرعاة هم من أطلقوا اسم لوبا الذئبة على لارنتيا لأنها بذلت جسدها. وهذا هو أصل الملحمة المذهلة. بعد ان يبلغ الشابان رومولوس وريموس أشدهما يتولان مهمة حماية القطعان من الحيوانات البرية واللصوص، وفي احد الأيام يختطف اللصوص ريموس ويتهمونه بسرقة قطعان نوميتور، وعند مثول ريموس لتنفيذ العقاب، يرق قلب نوميتور

لعمره الطري، ولأطلاعه على حكاية التوأمين، يراوده الشك بأنهما ربما يكونا حفيديه الذين تم تعريضهما. وفي اثناء تأمله بلهفة التشابه بين ملامح الصبي وأبنته، ومقارنة عمر الصبيين مع وقت تعريضهما، يصل فاوستولوس مع رومولوس، فيتم إكتمال حياكة المؤامرة بينهم، حينما يكشف الرعاة عن سلالة الصبيين. الشابان نفسهما يتسلحان لغرض الأنتقام، بينما يحمل نوميتور السلاح للدفاع عن عرشه السليب. وبعد اغتيال أموليوس، يعاد تنصيب نوميتور حاكما من جديد، ويعتزم الشابان تأسيس مدينة في المنطقة التي تم تعريضهما فيها والتي نشئا فيها. فيشب بينهما جدال عنيف حول من سيكون حاكماً للمدينة المؤسسة حديثاً، لأن أي من التوأمين ليس له حق الأبن البكر، كما ان نتائج الأحتكام الى وحي الطير كانت متكافأة(*). تروي الملحمة أيضاً ان روموس قفز من فوق سور

---

(*) استناداً الى موقع Storyboardthat، فأن التوأمين احتكموا الى الطير لتعيين موقع المدينة بالضبط من خلال رؤية المكان الذي تتواجد فوقه النسور.

المدينة المزمع انشاؤها، للسخرية من أخيه، فيحتدم رومولوس غيظاً ويميل على أخيه فيقتله. ما يتيح له الأستيلاء على السلطة بمفرده، وتسمى المدينة روما نسبة إليه.

هناك نسخة مشابهة لحكاية رومولوس وروموس في الأسطورة الأغريقية التي تتحدث عن تأسيس مدينة من قبل الأخوين التوأمين أمفيون وزيثوس، اذ كانا أول من أوجد موقع مدينة طيبة ذات البوابات السبع. كان زيثوس ينقل الحجارة الضخمة من الجبال ترافقه الموسيقى التي تصدرها آلة أمفيون الوترية، لتشكيل السور الذي أصبح مشهوراً جداً فيما بعد، فيما كان أمفيون وزيثوس يبجلان كأبناء لزيوس وانتيوبي، ابنة الملك نيكتوس، التي هربت من عقاب والدها، الذي مات حسرةً عليها، وعلى فراش موته أستحلف أخيه وخليفته على العرش لايكوس ان يقتص من انتيوبي لمعصيتها، واثناء هروبها تتزوج من ايبويوس ملك سيكيون، الذي يقتله لايكوس، ويقتاد انتيوبي مقيدة بالأصفاد، فتلد توأماً من الصبيان في مرتفعات كيثاريون

وتتركهما هناك. فيتربى الصبيان عند احد الرعاة الذي كناهما أمفيون وزيثوس. فيما بعد تنجح انتيوبي بالهروب من عذاب لايكوس وزوجته ديركه، وعن طريق الصدفة تلتمس لها مأوى في كايثيرون عند الأخوين التوأمين، فيكشف الراعي للتوأمين عن حقيقة ان انتيوبي هي والدتهما، عقب ذلك يقتلان ديركه بوحشية، وينتزعان الحكم من لايكوس.

اما النسخ المتبقية من ملحمة التوأمين[65]، فلا يمكن التعرض لها كلها بالتفصيل في هذا المقام لكثرتها، كما أنها يمكن ان تشكل تشابكاً لأسطورة الولادة مع مجموعة قديمة جداً من الأساطير واسعة الأنتشار، الا وهي اساطير الأخوة الأعداء، والتي تتعلق تفاصيلها الدقيقة بمقام آخر. كذلك فأن السمة الثانوية والتي

---

(65) بعض من ملاحم التوائم الأغريقية التي جمعها شوبرت (نفس المصدر) السابق، صفحة 13 وما بعدها) من محتوياتها الأولية. فيما يخص الترويج الواسع النطاق لهذه التركيبة الملحمية، قارن الكتاب المضطرب نوعا ما لـ جي. أتش. بيكر "ملاحم التوائم كمفتاح لتفسير التراث القديم"، مع جدول بملاحم التوائم، لايبزج 1891، النص الألماني.

جاءت متأخرة على ما يبدو في نوع اساطير التوأم تبرر عزلنا لهذا النوع عن مادة الموضوع الذي نحن بصدده. وفي هذا المقام لابأس ان نذكر ان مومسن[66] يُسَلم بأن الملحمة كانت تتحدث في الأصل عن رومولوس فيما تم اضافة شخصية روموس متأخراً وبشكل متقطع بعض الشيء، عندما وُجد انه من المستحسن الاستعانة بالأصالة الراسخة في التراث القديم.

(66) كتاب مومزن" اسطورة رومس"، مدينة هرمس، 1881.

# هرقل [67]

بعد فقده للعديد من أولاده، قام ألِيكترون بخطبة ابنته ألكمين الى أمفيترون ابن اخيه ألكايوس، ولسوء حظ أمفيترون فأنه يتسبب في موت ألِيكترون في حادث عرضي، لذا يهرب مع خطيبته الى طيبة، في الوقت الذي لم يستمتع بحبها، ذلك أنها عاهدته عهداً جدياً بأن لا تدعه يمسها قبل ان ينتقم لأخوتها من أهل طيبة، وعليه قام بقيادة حملة من طيبة هزم فيها بيترلاوس ملك الأعداء طيبة وكل الجزر التابعة لها، وفي طريق عودته الى طيبة، يعمد الإله زيوس الى ألكمين متمثلاً بهيئة أمفيترون[68]، ويقدم لها كأساً ذهبية كدليل على

---

(67) وفقاً لـ بريلر، الاساطير الايونانية (ليبزج، 1854، II، صفحة 120 وما يليها).

(68) نفس الحلول للأب الإلهي في شكل الأب البشري، حدث في قصة ولادة الملكة حتشبسوت (1500 ق.م)، التي تعتقد ان الإله أمون عاشر أمها أحموس في هيئة أبيها تحتمس الأول (انظر بودجه، تاريخ مصر، ج5، مجموعة الأصدارات حول مصر والكلدانيين، الجزء 12، صفحة 21 وما يليها)، بعد ذلك تزوجت من أخيها

النصر، فيبقى مع العروس الجميلة ثلاث ليالي، ووفقاً للشعراء المتأخرين فأنه قد حبس الشمس لنهار كامل، وفي نفس الليلة يصل أمفيترون جذلاً (مبتهجاً) بنصره ومستعراً بالحب. وحين آن الأوان، حدثت الولادة كثمرة لذلك العناق الإلهي والبشري[69]، ويفصح زيوس الى الآلهة عن ابنه، الذي سيكون أقوى حاكم في المستقبل، لكن زوجته الغيورة هيرا علمت كيف تحصل منه على عهد خبيث، بأن أول حفيد يولد من بريسيوس هو الذي يكون الحاكم على كامل ذرية بريسيوس. تسرع هيرا الى مدينة موكناي لتجعل ستيلينيوس زوجة أحد أحفاد بريسيوس تنجب ابنها

---

تحتمس الثاني، الذي يفترض انه فرعون الخروج، وبعد موته الغير مشرف، سعت الى طمس آثاره، واعلنت نفسها حاكماً بملابس الرجال (يمكن مقارنة ذلك في الديوثيرونيوم وهو الكتاب الخامس من التوراة، طبع من قبل شريدر، ط2، 1902).

(69) نفس المزج بين النسل الإلهي والبشري يروى في أسطورة ثيسيوس، فأمه أثيرا التي كانت معشوقة للإله بوسيدون، الذي غشيها في نفس الليلة، مع الملك العقيم ايجيوس ملك أثينا، حين كان مخموراً تحت تأثير النبيذ، فتربى الطفل سِراً، مع تجاهل والده له (معجم روشر، فقرة ايجيوس).

ايوريتيوس بعد سبعة أشهر من الحمل، في الوقت نفسه كانت تعرقل ولادة ألكمين وتعرضها للخطر بكل أشكال الشعوذة الشريرة، بالضبط كما كانت تفعل عند ولادة إله النور أبولو. أخيراً تنجب ألكمين توأماً هما هرقل وأيفيكلس، والأخير لم يكن بإمكانه مجاراة أخيه بالقوة والشجاعة، لكن يُقَدَر له أن ينجب له صديقه المخلص أيولاوس[70]. ونتيجة لعهد زيوس يصبح أيوريتيوس ملكاً على مونكاي في أرض الأرجيفيين، ليكون هرقل واحداً من رعيته.

---

(70) انجبت ألكميني هرقل كأبن لزيوس، بينما كان ايفيكليس من نسل أمفيترون، واستناداً الى ابودلودورس،2،4،8، انهم كانوا توأمين ولدا في نفس الوقت، بينما يذكر الباحثون الآخرون ان ايفيكليس بقي في بطن أمه ليلة بعد ولادة هرقل (أنظر معجم روشر، فقرة أمفيترون وألكمين)، يمكن التثبت هنا من الشخصية الغامضة للأخوين التوأمين، وانقطاع صلتهما مع الأسطورة بصورة عامة. وبنفس الطريقة، فأن تيليفوس أبن أوغه، الذي تم تعريضه مع بارثنوبايس، ابن اتلانتا، ثم تقوم ظبية برضاعتهما ثم يأخذهما الرعاة الى الملك كورثيوس. يمكن ملاحظة ادماج الإضافة الخارجية او العرضية للأزواج بشكل واضح.

سـردية الملحمـة القديمـة تـروي أن نشـأة هرقـل بهـذه الصـلابة كانـت نتيجة شـربه مياه نبع ديرك، الـذي كـان قوتاً لكل أطفال طيبة. لكن ظهرت لاحقاً رواية أخرى تقول انه وخوفاً من حقد هيرا قامت ألكمين بتعريض وليـدها فـي المكـان الـذي صـار يعـرف لاحقـاً بميـدان هرقـل، إبـان ذلـك وصـلت الآلهـة اثينـا برفقـة هيـرا، اندهشـت أثينـا بجمـال مظهـر الطفـل، وأقنعـت هيـرا لترضعه من صدرها، لكن الصبي أخذ الثدي بقوة أكبر بكثيـر ممـا يبـدو ان عمـره يسـوغه، شـعرت هيـرا بـألم شديد ما حدا بها ان ترمي الطفل على الأرض غاضبة، فيما حملته أثينا الى مدينة مجاورة لتقدمه الى الملكة ألكمين – التي كانت تجهل انه وليدها – ملتمسة اياها ان تربي هذا اللقيط المسكين بداعي الإحسان. ((أنها حقـاً حادثـة غريبـة ملفتـة للنظـر)). أن طفـلاً تتركـهُ أمـه الحقيقية يتعرض للموت غير أبهة برسالة الأمومة في حين أن زوجـة الأب المليئـة بالكراهيـة الفطريـة تجـاه الطفـل تقـوم بإنقـاذ عـدوها، دون أن تعـرف بـذلك (بحسـب ديـودور، ج4، 9، ترجمـة فـورم الألمانيـة،

شتوتغارت، 1831). هرقل لم يرضع سوى بضع قطرات من ثدي هيرا، لكن الحليب الإلهي كان كافياً ليمنحه الخلود. باءت محاولات هيرا لقتل الطفل بالفشل اذ كانت احداها ان وضعت ثعابين في مهد الطفل اثناء نومه، وحين استيقظ سحق الوحشين بعصرة واحد بيديه. وعندما كان غلاماً قتل هرقل معلمه لاينوس، حين غضب من عقابه الغير عادل. خوفاً من وحشية الشاب يقوم أمفيترون بأرساله لرعي قطيع الثيران في الجبال، وقيل انه كبر مع الرعاة قلباً وقالباً، مثل أمفيوس وزيتوس وقورش وروميولوس، يعيش هناك في رحاب الطبيعة مقتاتاً على الصيد (بريلير، ج2، صفحة 123).

اسطورة هرقل تُلمح في بعض تقاطيعها الى ملحمة البطل كريشنا الهندية، والذي يشبه العديد من الأبطال الذين نجوا من ظاهرة وأد الأطفال الشائعة، ومن ثم تقوم زوجة الراعي ايسودها بتربيته، لكن الملك كانسا يُرسل شيطانة شريرة لقتله، تتولى منصب المرضعة داخل البيت، لكن كريشنا يكشفها، فيعضها بقسوة

خلال الرضاعة فتموت حينها (مثل هيرا، التي ارضعت هرقل بينما كانت تنوي القضاء عليه). الحكاية القديمة للإله الرعوي كريشنا سُردت فيما يسمى كاريوامسا.

# عيسى (يسوع)

يروي انجيل لوقا (الاصحاح الأول من 26-35) نبؤة ولادة عيسى (يسوع) كالتالي:

"وفي شهر السادس أُرسِل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة في الجليل اسمها ناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمه يوسف وأسم العذراء مريم، ودخل عليها الملاك وقال، سلام لكِ ايتها الممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة انت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه، وفكَّرت: ما عسى ان تكون هذه التحية. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم; لأنك وجدت (فزت بـ) نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينهُ يسوع، فيكون عظيماً، ويدعى إبن العَلِي، ويعطيه الرب الإله عرش ابيه داوود، ويملِك على بيت يعقوب الى الأبد، ولن يكون لمُلكِهِ نهاية. فقالت مريم للملاك، كيف يكون هذا، وأنا لست أعرف رجلاً؟، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يَحِلُ

عليـكِ، وقُـوَةُ العلَـي تُظَلِـكِ، فلـذلك أيضـاً، القـدُوس المولود منكِ يُدعى ابن الله."

هـذه الروايـة نكملُهـا مـن إنجيـل متـي[71] (الاصـحاح الأول، من 18-25)، لما :" كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، قبل ان يجتمعا، وُجدت حبلى من الروح القدس، ولما كان يوسف زوجها باراً بها، لم يشأ ان

---

(71) من أجل الاستعراض الجوهري للتماثل الكامل لقصة ولادة يسوع وتأريخه المبكر مع بقية أساطير الأبطال الآخرين قام المؤلف بأعادة ترتيب الفقرات (المقاطع) الملائمة من أناجيل مختلفة (نسخ مختلفة من الأنجيل) بغض النظر عن تسلسلها التقليدي، أو مدى أصالة (عراقة) كل جزء بمفرده. ولمن يهتم بذلك فأن موضوع، عمر، وأصل، ومصداقية (حقيقة) هذه الأجزاء تم تلخيصها وبحثها بأيجاز في (تاريخ ميلاد يسوع المسيح لـ دبليو. سلطان، لايبزج، 1902). النسخ المنقولة من الأناجيل المتعددة، استناداً الى يوزنر في كتابه (ولادة وطفولـة المسيح، 1903، محاضـرات ومقـالات، لايبـزج، 1907) يتناقضان بل يلغي احدهما الآخر أحياناً، والتي وضعت متجاورة أو متعاقبة مع بعضها البعض، ولهذا السبب فأن هذه الأجزاء المتناقضة ظاهرياً في أساطير الولادة (هذه موضوع البحث) كان لابد من توضيحها (تفسيرها) في هذا البحث، بغض النظر عما اذا كانت هـذه التناقضـات قـد صـادفت (جـاءت) فـي روايـة (نسـخة) واحـدة للملحمة أو نسخ مختلفة (كما هو الحال في أسطورة قورش).

يشهرها، اراد حفظها بالسر بعيداً، وبينما هو يفكر في الأمر، واذا ملاك الرب يظهر له في حلم قائلاً: يوسف ابن داوود، لا تخف ان تتخذ من مريم زوجة لك، لأن الذي حَبلت به هو من الروح القدس، وانها ستلد ولداً، وتدعوه بأسم يسوع; لأنه يُخلصُ شَعبهُ من خطاياهم، (وهذا كله كان لكي تتم كلمة الرب التي قالها النبي، هي ذا العذراء، تَحبِلُ وتلد ولداً، والذي سيدعونه بـ عمانؤيل والذي تفسيرهُ، الله معنا)، فلما أستيقظ يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذَ إمرأته اليه، ولم يخبرها حتى ولدت أبنهما البكِر، ودعاه بـ (يسوع).

وهنا نستكمل الرواية التفصيلية لميلاد (يسوع) عيسى من إنجيل لوقا (الاصحاح الثاني، من 4-20): "فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية، الى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داوود وعشيرته، ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في

المذود(*)،[72] اذ لم يكن لهما موضع في المنزل. وكان في تلك الكورة (**) رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم. واذا ملاك الرب وقف بهم، ومَجدُ الرب اضاء حولهم، فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا فها انا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داوود مُخلِصٌ هو (المسيح الرب). وهذه العلامة لكم: تجدون طفلاً مُقَمَطاً مُضجعاً في مذود. وظَهَرَ بغتةً مع الملاك جمهورٌ من الجند السماوي مسبحين الله قائلين: المجد لله في العُلى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسَرة. ولما مَضت عَنهم الملائكة الى السماء، قال

---

(*) المذود: هو مكان يخزن فيه علف الدواب، ويبدو انهم استأجروا نزلاً في هذه المدينة التي لم يكن لهما منزل بها وان مكانهم كان ضيقاً فذهبت الى المذود لتجد مكاناً أوسع.

(72) فيما يتعلق بولادة يسوع في الكهف وتأثيث مكان الولادة بالحيوانات التقليدية (الثور والحمار): انظر أيضاً الى جيرمايز ،ولادة الطفل في العهد الجديد (لايبزخ 1905) صفحة 56، كذلك برويشن، ولادة يسوع في الكهف، مجلة العلوم الحديثة، 1902، صفحة 359.

(**) الكورة: تعني الحي أو اطراف القرية، اي مجموعة مساكن.

الرجالُ الرُعاة بعضهم لبعض: لنذهب الآن الى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب. فجاءوا مُسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي. وتعجب كل الذين سمعوا ما قال لهم الرعاة. وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرةً به في قلبها. ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم."

والآن ننتقل الى انجيل متي 2 من 1-12 لنكمل القصة كما جاء في الاصحاح الثاني: "ولما وُلِد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام هيرودتس الملك، اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم. اين هو المولود ملك اليهود؟ فأننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له. فلما سمع هيرودتس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم: أين يولدُ المسيح؟ فقالوا له: في بيت لحم اليهودية: لأنه هكذا مكتوب بالنبي، وانت يا بيت لحم،

ارض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منكِ يخرج مُدبر يرعى شعبي إسرائيل.

حينئذ دعا هيرودتس المجوس سِراً، وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر ثم أرسلهم الى بيت لحم، وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني، لكي أتي انا أيضاً وأسجُد له. فلما سمعوا من الملك ذهبوا. واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي.

فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. وأتوا الى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه. فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا: ذهباً ولباناً (و) مُراً. ثم اذ أوحيَ اليهم في حلم ان لا يرجعوا الى هيرودتس، انصرفوا في طريق آخر الى كورتهم. وبعد ما أنصرفوا، اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمُهِ وأهرب الى مصر، وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودتس مُزمعٌ ان يطلبُ الصبي ليقتله. فقام وأخذ الصبي وأمُه ليلاً وانصرف الى مصر. وكان هناك الى وفاة هيرودتس. لكي يتم ما قيل

من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني. حينئذ لما رأى هيرودتس ان المجوس سخروا به غضب جداً. فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون، بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس. فلما مات هيرودتس، اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر، قائلاً: قم وخذ الصبي وأمهُ واذهب الى أرض اسرائيل، لانه قد مات الذين كانوا يطالبون نفس الصبي. فقام وأخذ الصبي وأمهُ وجاء الى أرض اسرائيل. ولكن لما سَمِعَ أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودتس أبيه، خاف ان يذهب الى هناك، واذ أوحي اليه في حلم، انصرف الى نواحي الجليل. وأتى وسكن في مدينةٍ يُقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء: إنهُ سَيُدعى ناصرياً[73].

---

(73) وفقاً للدراسات الحديثة يقال ان تاريخ ميلاد المسيح، يتشابه الى حد كبير مع الأسطورة الملكية المصرية، والتي حدثت قبل خمسة الأف سنة والتي تروي ولادة امينوفس (أمينحوتب) الثالث. هنا أيضاً تتكرر النبوءة الألهية عند ولادة ابن للملكة التي تنتظر مولوداً، وأخصابها بنفحة من النار المقدسة، الأبقار المقدسة التي ترضع

هناك اساطير مماثلة لأسطورة ولادة يسوع نُقلت الينا عن بعض من "مؤسسي الأديان"; مثل زرادشت، الذي قيل انه عاش حوالي 1000 سنة قبل المسيح. في الشهر السادس من حملها، تحلم والدته (دوغدا)، ان الأرواح الشريرة والخيرَة، تتقاتل فيما بينها من أجل الجنين زرادشت، وحشٌ ينتزع زرادشت من رحم أمه، لكن إله النور يحارب الوحش بقرنٍ من نور، ويعيد الجنين الى رحم أمه، وينفخ على دوغدا، فتصبح حاملاً. عند استيقاظها، تسرع حاملة خوفها معها، الى عراف يُفسر الأحلام فيطلب ثلاثة أيام حتى يستطيع تفسير هذا الحلم الغريب، ثم بعدها يقول: الطفل الذي تحملُهُ، مُقدرٌ له ان يصبح رجلاً ذا شأن عظيم، السحابة المظلمة وجبل النور تفيد الى أنها وأبنها سوف يمرون بمخاطر كثيرة، بسبب الطغاة والأعداء الآخرين، لكنهم في النهاية سيعبرون هذه المخاطر. رجعت دوغدا على

---

الطفل المولود تواً، وبيعة الملوك وما الى ذلك. وفي هذا الصدد راجع كتاب العلم والدين، لـ أي. مالفرت، فرانكفورت 1904، صفحة 49 وما يليها، كذلك مقترح (رأي) البروفيسور إدليب في بون (جزء من صفحة فرانكفورتير تسايتونك، 1 تشرين الثاني، 1908).

الفور الى منزلها وأخبرت زوجها بوروشابا بكل ما حدث. وبعد ولادته مباشرة، شوهد الصبي ضاحكاً، وكانت هذه أول معجزة لفتت الأنظار أليه. يخبر السحرة الأمير دورانسارون عن ولادة الطفل الذي يكون نذير شؤم له، فيتوجه بنفسه مسرعاً الى بيت بوروشابا محاولاً قتل الطفل طعناً، فتنشل يده، وتوجب عليه المغادرة وانهاء المهمة، كانت هذه هي المعجزة الثانية. أما المعجزة الثالثة، فحدثت بعد ذلك بفترة وجيزة، حين سرق الشياطين الأشرار الطفل من أمه وذهبوا به الى البراري ليقتلوه; لكن دوغدا تجد الطفل المسالم نائماً بسكينة. بعد ذلك قرر الملك ان يُداس زرادشت من قبل قطيع الثيران في ممر ضيق(74)، لكن

(74) تم توثيق أحداث مشابهة في ملحمة حابس الكيليتية وفقاً لما نقل جستين (4،44)، ولد حابس كأبن غير شرعي لأبنة الملك وتعرض لشتى انواع الأضطهاد من قبل جَدِهُ الملك جريجوريوس، لكنه وبالعناية الإلهية، فأنه ينجو دائماً، حتى يعرف جده الملك حقيقته، ويلتحق بالسطلة الملكية. كما في اسطورة زرادشت، التي كانت تتضمن سلسلة متنوعة من أساليب الأضطهاد التي تعرض لها. فهو يُرمىَ في البراري ابتداءاً، ثم ترعاه الوحوش البَرية، ثم كان

الثور الأكبر يأخذ الطفل بين قدميه ويحفظه من الأذى، وهذه كانت المعجزة الرابعة. أما الخامسة، فكانت نفس سيناريو الرابعة، ولكن هذه المرة بحوافر الخيل. بعد ان رفضت الثيران سحقه، وهنا أيضاً يقوم آحد الخيول بحماية الطفل من حوافر الخيل الباقية. وبناءاً على ذلك قام دورانورون بمحاولة أخرى، اذ قام بقتل صغار الذئاب في عرينها، بعد مغادرة الأبوين، ووضع زرادشت مكان الصغار. لكن الأله أطبق أفواه الذئاب حتى لا تؤذي الطفل، في الوقت الذي تأتي اثنان من الأبقار الربانية لتقوما بتقديم ضرعيهما الى الطفل لتغذيته. وهذه كانت المعجزة السادسة التي تم من خلالها المحافظة على حياة زرادشت (قارن أو أنظر كتاب شبيجل، العصور الايرانية القديمة، الجزء الأول، صفحة 688 وما يليها، كذلك بوردبك في كتابه زرادشت، لايبزج 1893).

---

سيسحق من قبل قطيع في طريق ضيق، بعدها يُلقى أمام ضواري جائعة، التي تقوم برعايته بدورها، وفي الختام يُلقى به في البحر، ولكن يتم حمايته بلُطف وايصاله الشاطيء، ثم ترعاه ظبية، ويكبر في ظِلّها.

في قصة بوذا نجد أيضاً ملامح مشابهة لذلك، بوذا الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، منها عقم والديه، الحلم النبوءة، ولادة الطفل تحت السماء المفتوحة، موت الأم واستبدالها بأم بالتبني، إخبار حاكم المملكة بالولادة. وأخيراً فقدان الصبي في المعبد (كما في تاريخ يسوع، انظر انجيل لوقا، الاصحاح الثاني، من 40-52).

# سيغفريد (سيغورد)

ملحمة ثيدريك النرويجية القديمة التي دونت في حدود عام 1250م من قبل احد سكان آيسلاند استناداً الى تراث شفاهي واغاني قديمة، تروي حكاية ولادة ونشأة سيغفريد وكما يلي[75]:

عند عودة سيغموند ملك تارلونغالاند من احدى حملاته، قام بنفي زوجته سيسبي، ابنة نيدونغ ملك هاسبانيا، والسبب هو اتهامها من قبل الكونت هارتفين – التي كانت قد ازدرت به حين تقدم لخطبتها – بممارسة علاقات غير شرعية مع الخادم. في الوقت الذي نصح الملك مستشاروه بأن يحكم بتشويه الملكة البريئة بدلاً من قتلها، فأمر الملك هارتفين بقطع لسانها في الغابة على ان يجلبه الى الملك كدليل على التنفيذ.

---

(75) فارن اوغست راسمان: الملحمة الاسطورية البطولية الالمانية وموطنها، هانوفر، 1857-8، المجلد 2، صفحة 7 ومايليها؛ وانظر للمصادر، كتاب جيرزيك، ملحمة البطل الالماني (مجموعة غوشن) ومقدمة بيبير في مجلد: نيبولجين، في الادب الوطني الالماني لكورشنر.

وكان يرافقه الكونت هيرمان الذي كان يعارض تنفيذ ذلك الحكم القاسي، فيقترح تقديم لسان كلب الى الملك، ما أدى الى دخول الرجلين في قتال عنيف، في تلك الاثناء تنجب سيسيبي غلاماً باهر الجمال، فتقوم بلفِه بألياف الكتان، وتضعه في وعاء زجاجي، ثم تقوم بأحكام غلقه وتضعه بجانبها (راسمان). هُزم الكونت هارتفين في القتال واثناء سقوطه ركل الوعاء الزجاجي، فسقط في النهر. حين رأت الملكة ذلك غُشيَ عليها وماتت عقب ذلك مباشرة. عندما عاد هيرمان الى موطنه، اخبر الملك بكل شيء، فتم نفيه من البلاد. أما الوعاء الزجاجي فقد جرفه التيار أسفل النهر ومن ثم الى البحر، ولم يمضِ وقت طويل حتى انحسر المد، فعامَ الوعاء الزجاجي على الشاطيء الصخري، وانكشفت المياه عن موقع الوعاء حتى بدا كأنه جاف تماماً. أما الصبي داخل الوعاء فقد كبر نوعا ما، ينكسر الوعاء حين يصطدم بصخرة، ويبدأ الطفل بالبكاء، (راسمان)، تسمع نحيب الطفل ظبية، فتمسكه بين شفتيها وتحمله الى مهادها، لترضعه مع صغيرها. بعد

أن قضى الطفل أثنا عشر شهراً في حجر الظبية، أربى بطول وقوة صبي بعمر اربع سنوات، يوما ما وحين كان يركض في الغابة، حيث كان يقيم الحداد الماهر والحكيم ميمير – الذي دخل زواجه عامه التاسع من غير خلف – والذي رأى الصبي تلحق به تلك الظبية الوفية، فأخذه الى بيته، وعزم على تربيته كأبنٍ له، ومنحه أسم سيغفريد. في دار ميمير سرعان ما تحصل سغفريد على قوام ضخم وقوة هائلة، بيد أن شدة بأسه دفعت ميمير الى التخلص منه، فقام بأرساله الى الغابة في المكان الذي يقطنه أخو ميمير التنين ريجين، الذي تم الاتفاق معه مسبقاً على قتل سغفريد، لكن الأخير هزم التنين وقُتل ميمير وذهب بعدها الى براينهيلد الذي أخبره بأسماء والديه.

هناك ملحمة أوسترا اسيوية (*)، تتشابه مع قصة نشأة سغفريد، تتحدث عن ولادة ونشأة وولفديتريش[76]،

(*) مملكة اوستراسيا أو المملكة الفرانكية الشرقية (الأرض الشرقية)/ القرن السادس الى الثامن الميلادي / عاصمتها ميتز تتكون من اربعة اقاليم/ لأثارها اليوم متحف في مدينة سانت دنيدير، 200 كم شرق باريس.

الذي أتهمت والدته كذلك من قبل أحد الإقطاعيين – كانت أيضاً قد رفضت خطبته سابقاً – بالخيانة وممارسة الجنس مع الشيطان، وتحدث عنها بأسوء من ذلك الى هوغديتريش ملك القسطنطينية بعد عودته[77].

سَلمَ الملك الطفل الى خادمه المخلص بيرشتونج آمراً إياه بقتله، لكن الخادم بدل أن يقتل الطفل يقوم

---

(76) قارن: كتاب البطل الالماني، الجزء الثالث، المجلد الاول (برلين، 1871)، حُرر من قبل اميولنك وجانيك، والذي يحتوي ايضاً على النسخة الثانية من ملحمة وولفديتريتش.

(77) ان دافع الأفتراء الذي يستخدم ضد المرأة حين رفضها من يتقدم لخطبتها مشفوعاً بالتعريض والاطعام بواسطة حيوان (ظبية)، تشكل هذه مجتمعة النواة لحكاية جينوفيفا وابنها شمرتسنرايش، كما رويت على سبيل المثال، من قبل الأخوين غريم في كتابهم "الملاحم الألمانية"، ج2، برلين 1818، صفحة 280 وما يليها، في هذه الحكاية ايضاً يقترح الغادر المفتري ان يُغرق الكونتيسة مع ابنها في الماء، ومن أجل الوقوف على المنحى الادبي والتاريخي للحكاية، راجع ل. زاخر، قصة الكونتيسة البفالزيه جينوفيفا، كوينكزبيرغ، 1860، كذلك ب. زويفرت، ملحمة الكونتيسة البفالزيه جينوفيفا، فورتسبيرج، 1877. هناك ملاحم مشابهة لقصة الزوجة المتهمة بالخيانة ويتم معاقبتها بالتعريض تم ذكرها في الفصل 11 من تحقيقنا المعنون "دافع سفاح القربى في الشعر والملاحم".

بتعريضه في الغابة قرب المياه آملاً ان يسقط الطفل من تلقاء نفسه ويلقى حتفه، لكن الطفل المرح يبقى سالماً وحتى الحيوانات البرية كالأسود والدببة والذئاب لم تكن تؤذي الطفل حين كانت تأتي ليلاً لترتوي. ينذهل بيرشتونج من الحالة فيقرر انقاذ الطفل ويسلمهُ الى مشرف البراري(*) ليربيه وزوجته ويكنوه بـ وولفديتريش(78).

على غرار هذه الملحمة يمكننا أيضاً ان نقتبس من بعض الملاحم الشعرية الأخرى مثل ملحمة هورن بن آلوف، الذي ينجوا بعد تعريضه في البحر، حتى يصل الى بلاط الملك هونلاف، وبعد مغامرات عديدة يحظى بـ ريمهيلت ابنة الملك زوجة له. كذلك هناك تفاصيل توحي الى شخصية سيغفريد في ملحة الحداد الماهر فيلاند، الذي وبعد الانتقام للمقتل الشنيع

---

(*) مهنة قديمة يقوم صاحبها بإدارة الحياة البرية في المناطق التي يذهب فيها الملك للصيد براً أو في الماء.

(78) نفس التركيز على الدافع الحيواني يمكن العثور عليه في ملحمة شالاو، الطفل الذئب الهندوسي، راجع يولنغ، الحكايات المنغولية الخرافية (إنسبروك 1868).

لوالده، يعوم مع تيار الماء أسفل النهر مختفياً بكل دهاء تحت جذع شجرة محملاً بأدوات وكنوز معلميه. أخيراً فـأن ملحمـة أرثـر تحـوي خليطـاً مـن الأبـوة الإلهيـة والبشرية، كذلك التعريض في الطفولة ومن ثـم النشأة مع انسان بسيط.

# لونجرين

مجموعة الملاحم التي انتشرت على نطاق واسع والتي تم نسجها حول الفارس الأسطوري مع البجعة (الفارس والبجعة الفرنسية القديمة)، يمكن تأويلها بأنها تراث سيلتي (*) عريق. فيما يلي ندرج النسخة الأكثر شيوعاً والتي وضعت من قبل فاغنر كثيمة لمسرحيته.

قصة الفارس لونجرين مع البجعة، كما نقلتها الملحمة الألمانية من العصور الوسطى [تم تحديثها بواسطة بونجهاوس، ريكلام]، كذلك تم استعراضها بشكل موجز من قبل الأخوين جريم في كتابهم "الملاحم الألمانية" (الجزء الثاني، برلين 1818، صفحة 306) بعنوان لونجرين في باريانت. (**)

توفي دوق باريانت وليمبورغ، ولم يترك وريثاً سوى ابنته الشابة ألس أو ألسا، وهو على فراش الموت

---

(*) السيلتين أو القلط: مجموعة من الشعوب الهندواوربية عاشت في مناطق واسعة من اوربا والاناضول.

(**) مقاطعة في جنوب هولندا.

أوصى بها واحدٌ من حاشيته وأسمه فريدريش فون تياراموند. هذا الفارس الشجاع، تجرأ على المطالبة بيد الدوقة الشابة وأملاكها، تحت أدعاء كاذب، انها وعدته بالزواج منه. ما دعاها أن ترفض وبكل إصرار طلبه هذا. قام فريدريش بالشكوى عند الأمبراطور هاينريش والملقب فوغلر، وكان قرار الأمبراطور، بأن عليها ان تدافع عن نفسها أمامه من خلال فارس آخر، وهذا ما كان يسمى عندهم بالحكم الإلهي والذي من خلاله سيمنح الله النصر للبريء ويهزم المعتدي. ولما لم يكن هناك أي شخص مستعد للقيام بمهمة الدفاع عنها، تضرعت الدوقة الشابة الى الله بكل جوارحها لينقذها. بعيداً عن المنطقة، هناك في مونتسالفاتش، في مجلس الكأس(*)، سُمِعَ صوت الجرس، الذي يدل على وجود شخص ما بحاجة ماسة الى المساعدة. قرر مجلس الكاس أرسال لونجرين ابن بارسيفال كمنقذ. ولما أوشك على وضع قدمه في الركاب، تأتي بجعة طافية

(*) هو مجلس يضم مجموعة من الفرسان وغيرهم لحماية الكأس الذي يدعون ان السيد المسيح شرب منه ليلة العشاء الأخير.

على الماء، ساحبة زورقاً صغيراً خلفها، وإذ وقعت عينا لونجرين عليها، صاح من فوره: "أرجعوا الجواد الى الحضيرة، سأتبع هذا الطائر الى حيث يأخذني". ولأيمانه بقدرة الله لم يأخذ معه حتى طعاماً على القارب وبعد أن أبحروا خمسة أيام على سطح البحر، اذا بالبجعة تدخل منقارها تحت الماء لتصطاد سمكة، فتأكل نصفها وتعطي النصف الآخر الى الأمير ليأكله. وهكذا كان الفارس يتغذى مع البجعة.

في هذه الاثناء كانت ألسا قد استدعت زعماء القبائل وكذلك حاشيتها الى الاجتماع في مدينة انتويرب. وفي يوم الاجتماع تحديداً شوهدت بجعة تسبح ضد التيار (في نهر شيلد)، ساحبة زورقاً خلفها حيث كان لونجرين متوسداً دِرعَه. وصلت البجعة الشاطيء بسرعة، تم الترحيب بالأمير بكل حرارة، وما كاد ان يأخذ سيفه ودرعه وخوذته، حتى سبحت البجعة بعيداً مرة آخرى. استمع لونجرين للإجحاف الذي تعرضت له الدوقة، ووافق ان يتنازل بدلاً عنها بكل طيب خاطر. استدعت ألسا كافة اقاربها ورعيتها. في اثناء ذلك تم

تجهيز المكان الذي يقاتل فيه لونجرين وفريدريش بحضور الأمبراطور. استطاع بطل الكأس ان يهزم فريدريش الذي اعترف بدوره انه كذب على الدوقة، ما أدى الى اعدامه بالفأس. تزوجت ألسا من لونجرين، وعاشا كعاشقين لفترة طويلة، لكنه وفي السِر شدد عليها ان تتجنب كافة الأسئلة عن نسبه أو من أين أتى، قائلاً: بخلاف ذلك سيضطر أن يتركها فوراً ولن تراه مرة آخرى.

عاش الزوجان لفترة من الزمن بسلام وهناء، اذ كان لونجرين قائداً حكيماً وقوياً في مقامه، كذلك خدم الأمبراطور خدمة كبيرة في حملاته ضد الهون والوثنيين. لكنه حدث انه في أحد الأيام وخلال مسابقات رمي الرمح، قام لونجرين بطرح دوق كليف عن جواده، ما أدى الى كسر ذراعه. الأمر الذي أثار غضب دوقة كليف، فتحدثت بين النساء قائلة: قد يكون لونجرين شجاعاً بما فيه الكفاية، عدا عن أنه مسيحي صالح، لكن قضية كونه نبيلاً لا يمكن تأكيدها، لأن لا أحد يعرف من أين جاءنا عائماً على الماء. طعنت هذه

الكلمات دوقة باريانت في قلبها، وبان انفعالها وتغير لونها. وفي الليل حين كان زوجها يضمها بين ذراعيه، بكت، قال لها: "ما الأمر حبيبتي ألسا؟" قالت: "لقد سببت لي دوقة كليف ألماً كبيراً ". لونجرين تجاهل ذلك ولم يسأل أكثر. وفي الليلة التالية حدث نفس الشيء. لكن في الليلة الثالثة لم تستطع ألسا ان تمسك نفسها أكثر، قالت له: "مولاي، لا تلمني، أود ان أعرف من أجل مصلحة أطفالنا، متى وأين ولِدت، اذ ان قلبي يخبرني أنك من الطبقة الراقية. لما طلع النهار، أوضح لونجرين على رؤوس الأشهاد نسبه وولادته وانه ابن بارسيفال، وان الله أرسله من الكأس. ثم طلب طفليه الذين انجبتهما له الدوقة، قَبّلَهُما، وطلب منهما الأعتناء بما تركه لهما وهما سيفه وبوقه، وقال: "الآن، يجب أن أرحل" . ترك للدوقة خاتماً صغيراً، ذلك الذي أعطته إياه والدته. ثم جاءت صديقته البجعة تسبح بسرعة، والقارب خلفها، فركب الأمير وعبر المياه راجعاً لخدمة الكأس. غرقت ألسا في حالة غيبوبة. لذا قررت الإمبراطورة الأحتفاظ بالصبي الأصغر، لونجرين وفاءاً

لوالده، على أن تربيه كأبن لها. بينما الدوقة الأرملة قضت بقية حياتها بكاءاً[82] على زوجها الحبيب، الذي لم يعد اليها مطلقاً.

عندما نعكس أحداث ملحمة لونجرين، بحيث يتم وضع النهاية أولاً، لغرض اعادة الترتيب، أو حتى تبديل الدوافع، وهو أمرٌ شائعٌ في الأساطير، نجد ان أحداث الأسطورة التي نتناولها الآن قد أصبحت مألوفة: الطفل الرضيع لونجرين المتطابق مع والده بالأسم، يخوض البحر بسفينة تجرها بجعة الى الشاطيء. وتتبناه الأمبراطورة كأبن لها، ويصبح بطلاً شجاعاً، ويتزوج من عذراء نبيلة قومها، والذي يحظر عليها السؤال عن

---

(82) يذكر الأخوة غريم، في كتابهم الملاحم الألمانية (الجزء 2، صفحة 206 وما يليها)، ستة نسخ مختلفة أخرى عن ملحمة الفارس والبجعة. البعض من حكايات الأخوة غريم، مثل "البجعات الستة" (رقم 47)، "الأخوة الاثني عشر" (رقم 9) و "الغربان السبعة" (رقم 25)، مع كل أوجه التشابه والأختلاف بينهم والمذكورة في المجلد الثالث من "الأطفال والحكايات الشعبية الخرافية" تنتمي أيضاً الى نفس الدورة الأسطورية، ويمكن كذلك العثور على مواد أخرى من هذه الدورة في كتاب ليو "بيوولف" كذلك في كتاب غورة "مقدمة الى لونجرين"، هايدلبرغ 1813.

أصله، وعندما يُعصى أمرُهُ، ويفرض عليه كشف أصله الأعجازي ومهمته الإلهية، تعيده البجعة في مركبه الصغير الى الكأس.

تقيدت الاصدارات الأخرى من اسطورة الفارس مع البجعة بهذا الترتيب الأصلي للدوافع، بالرغم من أنها تبدو ممتزجة بعناصر من الحكايات الخرافية. اسطورة الفارس مع البجعة وردت أيضاً في كتاب الشعب الفلمنكي (الاساطير الألمانية، الجزء الأول، صفحة 29)، حيث تروي في البداية قصة ولادة سبعة أطفال[83]، أنجبتهم بياتريكس، زوجة الملك أوريانت،

---

(83) حكاية لونغوبارد القديمة عن تعريض الملك لاميسيو التي رواها باولوس دياكونوس (ل.15) تعطي حادثة مماثلة، امرأة من العامة تلقي بأطفالها السبعة الرُضَع في بركة للأسماك، يمر في تلك الأثناء الملك اجيلموند وينظر بفضول الى الأطفال، فيقلبهم برمحه، ولكن عندما أمسك احدهم برأس الرمح، اعتبر الملك ذلك نذير خير، فأمر بأخراج ذلك الصبي من البركة واعطائه الى مرضعة، وعندما أخرجه من البركة التي تسمى بلغتهم "لاما"، أطلق اسم "لاميسيو" على الصبي، الذي نشأ ليصبح بطلاً قوياً، ثم أصبح ملكاً على "لونغوباردز" بعد وفاة الملك اجيلموند.

ملك فلاندرز (*)، في غياب الملك، تأمر أمةُ الشريرة، ماتابرونا، بقتل الأطفال، واعطاء الملكة سبعة كلاب صغيرة بدلاً عنهم، لكن الخادم أكتفى بتعريض الأطفال في البراري، فيجدهم ناسكٌ يُدعى هيلياس، الذي يسقيهم من عنزة حتى يكبروا. في هذه الاثناء تم القاء بياتريكس (الأم) في زنزانة بأمر من الملكة الأم. فيما بعد تعلم ماتبرونا بأمر الأطفال وأنه تم إنقاذهم، فتكرر أمرها بقتلهم، ما يحدو بالصياد الذي كُلِفَ ابتداءاً بقتل الأطفال بجلب سلاسل العنق الفضية التي ارتداها الأطفال وقت ولادتهم، كدليل على طاعته المطلقة لأمر الملكة الأم. أحد الأطفال وإسمُهُ هيلياس، نسبة الى أسم والده بالتبني، يحتفظ بسلسلته، الأمر الذي أدى الى إنقاذه من مصير أخوته الآخرين، الذين مُسخوا الى بجعات، حال ازالة القلائد عن أعناقهم. ماتابورنا في هذه الأثناء تحاول جاهدة إثبات ان للملكة علاقة جسدية مع أحد العبيد، وبناءاً على هذ التحريض، يتوجب على الملكة بياتريكس ان تواجه عقوبة الموت،

---

(*) فلاندرز: الجزء الشمالي الناطق بالهولندية من بلجيكا اليوم.

ما لم يأتِ فارس للدفاع عنها. وبسبب رغبتها في الحياة، تدعوا الله، فيرسل ابنها هيلياس كمنقذٍ لها. أما أخوته الآخرين فيتم انقاذهم، عندما يتم العثور على قلائدهم، ما عدا واحداً كانت قد صُهِرت سلسلته. يقوم الملك أوريانت بنقل السلطة الى إبنه هيلياس، الذي يحكم بحرق الشريرة ماتابورنا. يوماً ما يشاهد هيلياس شقيقه (البجعة)، يسحب مركباً صغيراً في البحيرة المحيطة بالقلعة. ما يعتبر ذلك اشارة إلهية، فيتسلح ويعتلي الزورق، فتأخذه البجعة عبر الأنهار والبحيرات الى حيث يشاء الله ان يذهب. المتبقي من الملحمة هو ما جاء من أحداث متشابهة مع أسطورة لونجرين من قضية تحرير الدوقة المتهمة البريئة، وزواجه من ابنتها كلاريسا، التي حُرِم عليها أيضاً السؤال عن نسب زوجها. لكنها وفي السنة السابعة من زواجهما تعصي هذا الأمر وتطرح السؤال المُحرَم. فيعود الى دياره على متن قارب البجعة. وأخيراً يحصل شقيقه المفقود (البجعة) على حريته بالمقابل.

السمات المميزة في اسطورة لونجرين هي أن البطل (الإلهي) يختفي مرة أخرى بنفس الطريقة الغامضة التي ظهَر بها: كما ان عملية انتقال الدوافع الأسطورية من حياة البطل الأكبر سناً، الى الأصغر، والذين يحملون نفس الأسم عادةً، هو معالجة عالمية تقليدية في أدب صياغة الأسطورة، نجدها أيضاً متجسدة في الملحمة الانجليزية – لونجوبارد المسماة سكاف، والمذكورة في مقدمة لأنشودة بيوولف، والتي تعتبر أقدم ملحمة ألمانية، محفوظة باللغة الانجلو- ساكسونية (ترجمة هـ. ف. فولتسوجن. ريكلام). حَصَلَ والد بيولف الكبير على إسمه (سكلد سكيفنج) أي إبن سكاف، وذلك لأنه كان صبياً صغيراً أُلقي به على الشاطيء، لا يعرفه أحد، نائماً في قارب على حِزمَةٍ من الحبوب (تسمى بالانجلوساكسونية: سكاف)، يبدو أن أمواج البحر قذفت به على شاطيء البلاد التي كان مقدراً له ان يحكمها فيما بعد. إستقبله سكان البلاد كمعجزة، وكأنه هبة من الله، فرفعوا من شأنه، وجعلوه ملكاً عليهم. (انظر جريم، الأساطير الألمانية، الجزء الأول، صفحة

306، والجـزء الثالـث صـفحة 391، و. هـ. ليـو: بيوولف، هالَة، 1839). التي تخبرنا ان الجد الأعلى للبيت الملكي (سكاف أو سكياف)[85] الذي ذُكر في أنشودة بيوولف أنتقل اسمه الى ابنه (سكيفنج سكيلد) أستناداً الى الرواية التي اتفق عليها كل من غريم (المصدر السابق)، كذلك ليو (صفحة 24)، والذي بناءاً على وصيته، تم تعريض جثته على قارب بدون ربان، محاطاً بجلالة ملكية، وأُطلق القارب على سطح الماء، وتُرك يجوب البحر. وهكذا يختفي بنفس الأسلوب الغامض الذي وصل به والده الى الشاطيء؛ ومن خلال

(85) كلمة "سكاف" تقابل بالألمانية العليا او القديمة schaffing "برميل"، هذا الذي دفع ليو الى الأفتراض ان "سكيلد" لُقِبَ بـ "سكيفنج" لأنه لم يكن لديه أب يدعى "سكيف" أو "سكاف" أطلاقاً، لكنه كان نفسه هو الطفل الذي أُلقيَ على الشاطيء قرب التلال والذي أطلق عليه أسم "ابن البرميل"، نفس أسم "بيوولف" الذي شرحه غريم بـ "ذئب النحل"، والذي يبدو انه يعني في الأصل "دب النحل" (استناداً الى فولتزوجن) أي "الدب الصغير" أو "فرخ الدب" وهو ما يوحي أصل ملحمة "غولفس" (أصل غيلف، غريم، الجزء 2، 233)، حيث تم ألقاء الأولاد في الماء على أنهم "جراء الدب".

التماثل الأسطوري بين الأب وابنه، تم مقارنة هذه السمة المميزة بالنسبة الى ملحمة لونجرين.

بمراجعة سريعة لأساطير الأبطال المتنوعة هذه يظهر لدينا كتحصيل حاصل سلسلة متطابقة من السمات المشتركة، لعمل اساسي نموذجي يمكن من خلاله تركيب أسطورة قياسية. هذا البرنامج يتوافق تقريباً مع شكل الهيكل العظمي البشري والذي برؤية عابرة يمكن ان تكون اجزاءه متشابهة، لكنها في الواقع تختلف الواحدة عن الأخرى.

السمات الفردية المميزة للعديد من الأساطير، وخاصة تلك التي تختلف بوضوح عن النموذج الأسطوري الأقدم، لا يمكن تفسيرها بالكامل إلا من خلال فك رموز الأسطورة وتحليلها تفصيلياً أما الملحمة أو الأسطورة القياسية نفسها فيمكن صياغتها وفقاً للمخطط التالي:

البطل الأسطوري هو طفل لأبوين هم الأبرز في المجتمع، عادة ابن ملك

↓

يسبق ولادته عراقيل مثل (الاعتصام عن الجنس) كبح الشهوة أو العقم الطويل الأمد أو الامتناع عن الجماع بين الوالدين (او الجماع السري) بسبب موانع خارجية أو معوقات.

↓

اثناء فترة الحمل أو ما قبلها هناك نبؤة بصيغة حلم أو وحي، تحذر من ولادته، وغالباً ما تهدد الأب أو من ينوب عن بالخطر.

↓

وكقاعدة عامة يتم القاءه في الماء، بعد ان يوضع في صندوق.

↓

يتم انقاذه أما من قبل حيوانات أو أناس بسطاء (رعاة مثلاً) وتُرضعه أنثى الحيوان أو أمرأة متواضعة (بالتقابل).



يعد أن يكبر، يعثر على والديه البارزين اجتماعياً بصياغات متعددة الأساليب.



ينتقم من والده تارةً، ويعترف به تارةً آخرى، وفي النهاية يحصل على مرتبة الشرف[86].

العلاقات الطبيعية للبطل الأسطوري تجاه والده ووالدته تبدو ضعيفة في كل الأساطير، كما يتضح من المخطط اعلاه. هناك سبب لأفتراض أن شيئاً ما في طبيعة البطل الأسطوري هو من يفسر هذا الأضطراب، ودوافع ذلك النوع من الأضطراب ليس من الصعب أكتشافها، بل أنها سهلة ويمكن ملاحظتها في ابطال الجيل الحديث للحقبة الأسطورية. فبالنسبة للبطل الذي يتعرض للحسد والغيرة والافتراء بدرجات اعلى بكثير من غيره (من أبطال الملاحم)، فأن نَسَبهُ من

---

(86) امكانية الحصول على شرح اضافي للعناصر المنفصلة في هذا الجدول يمكن مراجعتها في التصنيف الذي قدمه هـ . ليسمان من خلال النتيجة التي توصل اليها في "ملحمة قورش في أوربا".

والديه غالباً ما يكون هو مصدر المحنة العظمى والمعرقلات التي يتعرض لها. قديماً قيل "ليس نبيّ بلا كرامة الا في وَطنهِ وبين أقربائه وفي بيته"، (انجيل مرقس، الاصحاح6،4). وهنا يبدو ان هناك أحياناً ضرورة معينة ان يُكَذب النبي حتى والديه (لأغراض دينية ربما)، نجد أيضاً في أوبرا مايربير الشهيرة، المبنية على الاعتراف، ان البطل الرسالي مباحٌ له، ولغرض اداء مهمته، التخلي حتى عن والدته الحبيبة.

ومع ذلك نواجه صعوبات كبيرة عندما نحاول البدء في طريق اثبات الدوافع الأساسية التي تجبر بطلاً ما على قطع علاقاته العائلية. أكَدَ العديد من الباحثين ان استيعاب تكوين الأسطورة يتطلب منا العودة الى مصدرها الأساسي (الأقدم)، وهي المَلَكَة الفردية للخيال[87]. في الوقت الذي نجد ان هذه القدرة التخيلية، لا تكون فعالة بشكل غزير وغير مقيد الا في

(87) أنظر كذلك "فوندت" الذي فسَر البطل من الناحية النفسية على أنه إسقاط (انعكاس) للرغبات والتطلعات الانسانية (نفس المصدر، صفحة 48).

مرحلة الطفولة. لذا يجب دراسة النشاط التخيلي للطفل، من أجل التمهيد لفهم الخيال الأسطوري والفني الأكثر تعقيداً وتشويشاً بشكل عام.

في نفس الوقت فأن أستقصاء ملكة الخيال الطفولية لم يتم الخوض بها من الناحية العلمية بعد. والا لو كان البحث متقدماً بدرجة كافية، لكان لنا القدرة على أستثمار نتائجه لتفسير تلك النشاطات النفسية الأكثر تعقيداً. يرجع سبب هذا الفهم غير الناضج للحياة النفسية للطفل الى عدم وجود أداة قياس ملائمة، فضلاً عن عدم توفر وسيلة معتمدة تمكننا من فهم تعقيدات هذا المجال البالغ الحساسية. كما لا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة هذه المشاعر الطفولية من خلال دراسة نفس المشاعر لدى الشخص البالغ، لأنه قد يكون معبأ بغيرها، في ضوء بعض الاضطرابات النفسية. فالتكامل النفسي الطبيعي (السلامة النفسية الطبيعية) للأشخاص العاديين، تكمن على وجه الدقة في تغلبهم ونسيانهم الأهواء والتخيلات الطفولية، بالشكل الذي يجعل طريق الوصول لها مغلقاً. أما عند

الأطفال، ومن ناحية أخرى، فأن المراقبة التجريبية (وهي قاعدة عامة سطحية) تفشل في البحث في العمليات النفسية، لأننا لم نتمكن بعد من إرجاع جميع المظاهر النفسية الى القوى الدافعة لها بشكل صحيح: لذلك نحن نفتقر الى الأداة. هناك فئة معينة من الاشخاص، تسمى "المصابين بالعصاب النفسي" أظهرت تجارب فرويد انهم ظلوا أطفالاً، بشكل ما رغم انهم يبدون ناضجين. اذ ان هؤلاء المصابين بالعصاب النفسي لم يتخلوا عن واقعهم النفسي الطفولي عند النضج، بل على العكس اصبح أقوى وأكثر ثباتاً بدلاً من التغير. في حالة مريض العصاب النفسي، يتم المحافظة على الانفعالات الطفولية بل المبالغة بها، ما يؤدي الى ان يكون قادراً على احداث تأثير مرضي، تظهر من خلاله هذه المشاعر متسعة ومبالغاً فيها بشكل كبير. ان مخيلة مرضى العصاب النفسي، كما كانت في الماضي، هي اعادة الانتاج المبالغ فيه وبأنتظام للمخيلة الطفولية. هذا ما يمكن ان يؤدي الى طريق لحل المشكلة، ومع ذلك، ولسوء

الحظ فأن الوصول الى عقل هؤلاء الاشخاص أصعب بكثير من الوصول الى عقل الطفل. بيد ان هناك اداة واحدة معروفة يمكنها ان تجعل هذا الطريق ممكناً، هي طريقة التحليل النفسي، التي تم تطويرها من خلال ابحاث فرويد. ان التعامل المستمر من خلال هذه الطريقة يمكن ان يعطي رؤيا أوضح للمعالج تمكنه من أكتشاف القوى الدافعة، المتشابهة في حالات مرضية معينة فقط. كذلك في السيرة النفسية لأولئك الذين لا يمرضون بالعصاب النفسي لاحقاً.

كان لدى البروفيسور فرويد كل الاريحية ليضع تحت تصرف المؤلف تجربته القيِمة في علم النفس العصابي؛ وعلى هذا الأساس، ترتكز ملاحظاتنا القادمة حول مَلَكَة الخيال لدى الطفل ولدى مرضى العصاب النفسي.

ان عزل الشخص البالغ عن سلطة الوالدين هي واحدة من أهم متطلبات النمو لكنها في نفس الوقت واحدة من أكثرها ايلاماً، في الوقت الذي لا بد من حدوث ذلك الانفصال، ويمكن الأفتراض ان جميع الأفراد

البالغين الطبيعيين قد احرزوه الى حد ما، مع ذلك يعتمد التطور الأجتماعي بشكل أساسي على هذا الأختلاف بين الجيلين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هناك فئة من مرضى العصاب النفسي، قد فشلوا في حل هذه المشكلة، كما تشير الى ذلك التقارير عن حالاتهم. بالنسبة الى الطفل الصغير ومن خلال التشبه بوالديه الذين يعتبرهما السلطة الوحيدة ومصدر الايمان، وهكذا فأن الطفل وحسب جنسه يكبر مقلداً الأب أو الأم، لتكون تلك الأمنية الأكثر قوة وأهمية في سنوات عمره المبكرة. ومن الطبيعي أن يؤدي تطور النمو الفكري الى أن يتعرف الطفل على الطبقة التي ينتمي لها والده، كما يتعرف أيضاً على طبقة الآباء الآخرين، ما يدعوه الى المقارنة بينهم، وبالتالي ينمو عنده المبرر في أن يبدأ في الشك في قراره ان يكون والديه هما المنبع الوحيد والمتميز الذي اعتمده في صغره. بعض الأحداث التافهة في حياة الطفل، والتي تثير حالة عدم الرضا لدى الوالدين، ما ينتج عنها توبيخهم للطفل، يؤدي ذلك بالطفل الى قناعة تراكم

أحياناً بأن الآباء الآخرين أفضل من والديه في نواحي معينة، تخبرنا سيكولوجية العصاب النفسي ان مشاعر التنافس الجنسي الأنفعالية (بين الأطفال) تتعلق أيضاً بهذا التداخل الذي يولد الشعور بالإهمال وتكبر احتمالية تولد هكذا شعور، عندما يفتقد الطفل حُب الوالدين له او على الأقل ندمه على الأضطرار لمشاركة هذا الشعور (الأحساس) مع الأطفال الآخرين في الأسرة. ان شعور المرء بأن ميوله الخاصة ليست متبادلة تماماً مع الأشخاص الآخرين تجعله يسعى الى معالجة ذلك من خلال طريقة تفكيره – بعضنا يتذكرها جيداً في سنوات طفولته المبكرة – فمثلاً يُفكِر بأنه ليس ابناً أصيلاً أو أنه تم تبنيه. كثير من الأشخاص الذين لم يصابوا بالعصاب النفسي يمكنهم تذكر وقائع من هذا النوع في كثير من الأحيان عندما تم الحديث معهم عن السلوك العدائي للوالدين بالطفولة وكيف كان تفسيرهم له أو طريقة ردهم بالمثل وغالباً ما كان تأثير كتب القصص واضحاً في هذا المجال. إن تأثير الجنس يبدو جلياً، فبقدر ما يُظهر الصبي ميلاً أكبر

لحمل المشاعر العدائية لأبيه أكثر من أمه يصاحب ذلك توجه أقوى للتحرر من الأب أكثر من التحرر من الأم، وبالمقارنة نرى ان مَلَكَة الخيال للبنت في هذا المجال أقل فعالية. هذه المشاعر النفسية التي يتم تذكرها شعورياً خلال سنوات الطفولة توفر الباعث الذي يتيح تفسير الأسطورة، بينما الأحداث التي لا يتم تذكرها في الوعي، لكن غالباً ما يمكن إظهارها من خلال التحليل النفسي، تعتبر المرحلة اللاحقة في تطوير رغبة الأنسلاخ الاولي عن الوالدين، والذي يمكن تسميته اصطلاحاً "الرومانسية العائلية لمرضى العصاب النفسي". أن ماهية العصاب النفسي أو حتى المؤهلات العقلية العليا تنطوي على نشاط متميز للخيال، يتجلى في المقام الأول خلال فترة لعب الأطفال، والذي يتحكم بطبيعة علاقاته الأسرية في الفترة التي تسبق البلوغ، والمثال الأبرز لهذه المَلَكَة التخيلية تتمثل في أحلام اليقظة المألوفة (88)، والتي

(88) قارن فرويد "التخيلات الهستيرية وعلاقتها بالازدواجية الجنسية" مع الاشارات الى أدبيات هذا الموضوع. هذه المناقشة تم

تستمر لفترة طويلة حتى بعد البلوغ. والمراقبة الدقيقة لأحلام اليقظة هذه، تبين لنا انها تخدم تحقيق الرغبات، كذلك تصويب مسارات الحياة، وان لها غرضين أساسين، أحدهما جنسي، والآخر ذو طبيعة طموحة (عادة ما يتم اخفاء العامل الجنسي فيه). ينشغل خيال الطفل في وقت معين من عمرهِ بمهمة التحرر من والديه، وذلك عندما يصبحان في نظره مستضعفين، وكقاعدة يحاول أن يختار من هما في مرتبة اجتماعية أعلى ليحلا محلهما. في الوقت الذي يبدأ الطفل استخدام مصادفات عرضية لأحداث واقعية (حسب بيئته، مثل مقابلة مع سيد القصر، أو مع الأقطاعي في الريف مثلاً: أو مع الأمير أو حاكم ولاية كبيرة كما في الولايات المتحدة الأمريكية، أو مع بعض رجال الدولة الكبار، أو مع مليونير). فالأحداث العرضية من هذا النوع توقظ في الطفل الحسد، وهذا يجد مصداقه على سبيل المثال في مقارنة الألبسة الفاخرة التي يرتديها

---

تضمينها في السلسلة الثانية من "مجموعة مقالات قصيرة عن مذهب العصاب النفسي" فينيا ولايبزج، 1909.

الأعلى مرتبة اجتماعية بتلك التي يرتديها والديه. ان التحليل العلمي لهذين التصورين، مع تأكيد وجودهما في إدراكه، يعتمد على براعة الطفل وكذلك إمكانياته في التدبير، كما أنه يؤخذ في الاعتبار أنه تم تطوير هذه الأوهام مع ادعاء العقلانية بشكل أو بآخر. يصل الطفل الى هذه المرحلة في الوقت الذي لا يزال يفتقر كلياً الى معرفة الظروف الجنسية لولادته، ومع اضافة المعرفة بالعلاقات الجنسية المتشعبة لكل من الأب والأم. ومع إدراكه لأشكالية الرابط مع الأب، ووضوحه تماماً مع الأم تخضع الرومانسية العائلية لعملية ترميم غريبة، اذ تتكون القناعة بتبجيل الأب، في حين ان النسب من الأم لم يعد موضع شك، بل أصبح مقبولاً كحقيقة غير قابلة للتغيير. هذه هي المرحلة الثانية (أو الجنسية) من الرومانسية العائلية، والمدعومة بدافع آخر غير موجود في المرحلة الأولى (اللاجنسية)، فمعرفة الأمور الجنسية تفضي إلى الميل باتجاه تخيل مواقف وعلاقات مثيرة، مدفوعة بالعاطفة الممتعة من خلال توظيف الأم، أو الشخص الأكثر

إثارة من الناحية الجنسَية، في حالة الخيانة وعلاقات الحب السِرية. بهذه الطريقة يتم رفع التخيلات الأولية (اللاجنسية) الى مستوى الادراك الأكثر تطوراً.

ويظهر مرة أخرى الدافع للانتقام والمعاملة بالمثل الذي كان أصلاً في الصدارة. هؤلاء الأطفال العصابيون (المصابون بالعصاب النفسي) هم في الغالب ممن يعاقبهم الأهل لغرض كبح عاداتهم الجنسية السيئة، فينتقمون من والديهم بواسطة الخيال. يميل الأطفال الأصغر سناً في العائلة الى حرمان اسلافهم من فضائلهم من خلال حكايات مختلفة كما يحدث أحياناً في مؤامرات التاريخ، وفي كثير من الأحيان لا يترددون في نسبة الكثير من علاقات الحب الى الأم في الوقت الذي يجعلون من أنفسهم منافسين فيها. تنوع مثير للأهتمام في الرومانسية العائلية يُحيي من خلالها بطل المؤامرة شرعية نفسه بينما يتم بنفس الطريقة إهمال الأطفال الآخرين على انهم غير شرعيين. من جوانب أخرى، قد تخضع الرومانسية العائلية الى اهتمامات خاصة، حين تتوافق جميع أنواع الميول من خلال

قـدرتها علـى التكيـف وطابعهـا المتنـوع، فعلـي سـبيل المثال يتخلى الطفـل الرومانسـي عـن صـلة القرابـة مـن أخته في حالة الميل الجنسي.

وهنا نذكر الذين ينصرفون فزعين عند سماع الحديث حول هكذا فساد في عقل الطفل، او ربما يشككون في إمكانية حدوث مثل هذه الأمور ان يلاحظوا ان كل هذه التخيلات العدائية، ليس لها ذلك المغزى السيئ على الأطـلاق، اذ أن المـودة الحقيقيـة للطفـل تجـاه والديـه تبقـى محفوظـة تحـت غشـاء رقيـق، فـالجحود مـن قبَـل الطفـل وعـدم الأخـلاص لوالديه يكـون واضـحاً فقـط، عند البحث تفصيلياً في أكثر الأوهام الرومانسية شيوعاً أعنـي بهـا، اسـتبدال كـلا الوالـدين، أو الأب وحـده، بشخصيات أكثـر رفعـةً، هنـا نكتشـف ان هـؤلاء الآبـاء الجـدد الأكثر رفعةً يأخذون دوماً صفات مستمدة مـن الذكريات الواقعية للوالدين الحقيقين، بحيث ان الطفل لا يُقصي والـده مـن مخيلته فعلياً بـل يرفـع مـن مرتبته ويعتبـر المسـعى لأسـتبدال الأب الحقيقـي بـآخر أكثـر وجاهـةً، هـو مجـرد تعبيـر عـن شـوق الطفـل للـزمن

الماضي السعيد، حين كان يرى والده في منزلة أقوى وأعظم رجل، عدا عن أمه التي كانت تبدو أعز وأجمل إمرأة. لذا ينصرف الطفل عن أبيه كما يعرفه الآن، الى الأب الذي آمن به خلال سنوات طفولته الأولى، وفي الحقيقة فأن خياله لم يكن سوى تعبير عن الندم على انقضاء ذلك الزمن السعيد. وهكذا فأن المبالغة في التقدير إبان السنوات الأولى من الطفولة تكتسب مرة أخرى طابعاً خاصاً بها في هذه الأوهام[89]. هناك مداخلة في هذا المجال تستحق الأهتمام إلا وهي دراسة الأحلام. اذ يخبرنا تفسير الأحلام انه حتى في سنوات ما بعد الطفولة، نجد في احلام الإمبراطور أو الإمبراطورة تحقق رمزية الأب أو الأم[90]. وهكذا فأن

---

(89) من أجل أضفاء المثالية على الوالدين من قبل الأطفال، أنظر تعليقات مايدر (جاهرب. ف. التحليل النفسي، صفحة 152، كذلك الصحيفة المركزية للتحليل النفسي، العدد 1، صفحة 51) على مقال فارندونك، "مثالية الأطفال" تومي، المجلد السابع، 1908.

(90) تفسير الأحلام، الجزء 2، صفحة 200، راجع ترجمة بريل، ماكمليان وشركاه،، 1913.

مبالغة الطفل في تقييم والديه ستبقى محفوظة حتى في أحلام الشخص البالغ السليم.

كلما تقدمنا أكثر في محاولة جعل الصفات المذكورة اعلاه تنسجم مع موضوعنا نشعر بأن لدينا مبرراً أكبر لتشبيه (أنا) الطفل ببطل الأسطورة، في ضوء التوجه المشترك للرومانسية العائلية وأساطير الأبطال; آخذين بنظر الاعتبار ان الأسطورة في إطارها العام، تكشف لنا عن محاولة للتخلص من الوالدين، وهي نفس الرغبة التي نجدها واضحة في مخيلة كل طفل عندما يحلم بتأسيس استقلاله الشخصي، (أنا) الطفل في هذه الحالة تتصرف تماماً كما هو بطل الأسطورة، مع الفارق انه يجب تفسير "الأنا" عند بطل الأسطورة بأنها جمعية، حاصلة على كافة الأمتيازات. وعلى نفس الشاكلة نجد أن البطل في الخيال الشعري الفردي غالباً ما يمثل الشاعر نفسه أو على الأقل جانباً من شخصيته.

عند تلخيص اساسيات أسطورة البطل نجد التالي:

النسب من أبوين نبيلين



التعريض في النهر وفي صندوق أو سَلَة



النشأة على يد أبوين متواضعين



ثم عودة البطل الى والديه الحقيقين (مع أو بدون عقوبة يحكم بها عليهم)

ومن الواضح جداً ان الوالدين في الأسطورة يماثلان الوالدين الحقيقين وكذلك الخياليين في الخيال الرومانسي. يتبين ذلك من خلال الفحص الدقيق للتماثل النفسي للوالدين المتواضعين والوالدين النبيلين، تماماً كما هو في حالات الخيالات الطفولية أو حالات العصاب النفسي.

تبدأ الأسطورة مع والدين نبيلين تماماً كما هو في الخيال الرومانسي، وفي حالة من التجانس في المبالغة في تقدير منزلة الوالدين خلال مرحلة الطفولة المبكرة،

بينما في الواقع فأن البالغين يتكيفون بسرعة مع ظروفهم الفعلية. وهكذا نرى ان خيال الرومانسية العائلية يمكن ادراكه بسهولة في الأسطورة مع انعكاس واضح للظروف الواقعية. وكنتيجة لعداء الأب وما ينتج عنه من محاولة التخلص من الطفل، يظهر الدافع الذي جعل الأنا منغمسة في الخيال بأكمله، وقد يجوز القول هنا ان الرومانسية الوهمية هي سبب المشاعر العدائية التي يحملها الطفل ضد والده في هذا الخيال. وبالتالي فأن تعريض الطفل للمخاطر في الأسطورة يقابله التبرؤ وعدم الأعتراف في حالة الخيال الرومانسي، وفي حالات رومانسية العصاب النفسي يقوم الطفل وببساطة بالتخلص من أبيه، بينما نجد في الأسطورة أن الأب غالباً ما يسعى الى التفريط في طفله، وكما تقتضي عصارة الخيال يكون الانقاذ أو الانتقام هو الخاتمة الطبيعية المألوفة.

ومن أجل معرفة القيمة الكلية لهذا التناظر المتوازي، كما تم رسمه في خطوطه العريضة العامة، علينا أن نتمكن من تفسير بعض التفاصيل التي تتكرر في

الأسطورة باستمرار، والتي يظهر انها تتطلب توضيحاً خاصاً. ويبدو أيضاً ان هكذا طلب يكتسب اهمية خاصة، من خلال الحقيقة التي تقول أنه لا يوجد تفسير مقنع لهذه التفاصيل في كتابات ألمع نجوم علماء الأساطير أو حتى فلاسفة الطبيعة. وتتمثل هذه التفاصيل من خلال تكرار مجريات الأحلام أو النبوءات، بنفس الكيفية وهي طريقة تعريض الطفل من خلال وضعه في صندوق (سلة) ورميه في الماء. ويتضح من النظرة الأولى ان هذه الدوافع لا تتيح لنا استدلالاً نفسياً، لكن ولحسن الحظ فأن دراسة رمزية الحلم تُفشي لنا توضيحاً لتلك العناصر الخاصة بأسطورة البطل، واستخدام نفس الأدوات في أحلام الأشخاص الأصحاء وكذلك مرضى العصاب النفسي(91) ويقودنا الى ان التعريض في الماء، ان دل على شيء فإنما يدل على التعبير الرمزي للولادة.

---

(91) قارن بين "أحلام الولادة" في كتاب "تفسير الأحلام" لفرويد (راجع ترجمة بريل، ماكمليان وشركاه، صفحة 207 وما يليها)، كذلك الأمثلة التي ادرجها المؤلف في "ملحمة لونجرين" (صفحة 27 وما يليها).

## الأطفال يخرجون من "الماء"(92)



## السلة أو الصندوق أو أي وعاء(93)، يعني ببساطة الحاوية أي الرَحِم

---

(92) في الحكايات الخرافية المعدة للأطفال الصغار وخاصة في نظريات الجنسية الطفولية (انظر فرويد في عدد كانون الأول من كتابه "مشاكل جنسية")، فأنه يتم تصوير ولادة الأنسان عادة على انها انقاذ لطفل من بئر أو بحيرة (تيمي، صفحة 157). قصة "بركة السيدة هولي" (غريم، الملاحم الألمانية، الجزء 1، صفحة 7)، تشير الى أن الأطفال حديثي الولادة يأتون من بئرها، وهي من تخرجهم منها، ويبدو ان نفس التفسير تم اعتماده في بعض الطقوس الشعبية، فعلى سبيل المثال، اذا كان لدى أحد السلتيين سبب للشك في أبوته، فيقوم بوضع الطفل الوليد على درع كبير ويضعه لا على التعيين في أقرب نهر، فإذا حملته الأمواج الى الشاطيء، كان ذلك الطفل شرعياً، لكن اذا غرق الطفل كان دليلاً على العكس، ويتم اعدام الأم أيضاً (أنظر فرانز هيلبنج "تاريخ الخيانة الأنثوية"). قمنا كذلك بتجميع مواد أثنية إضافية من الفلكلور في "ملحمة لونجرين".

(93) تم تمثيل الصندوق في بعض الأساطير بالكهف، الذي يرمز أيضاً وبوضوح الى الرحم، عدا عن قضية ابراهام وأيون وآخرين، وخاصة في حالة زيوس، الذي ولد في كهف بجبال إيدا، وتغذى من المعزى أمالثيا، الذي تخفيه أمه خوفاً من زوجها كرونوس. وفقاً

للإلياذة هوميروس (الجزء الثامن عشر، صفحة 396 وما يليلها)، ألقت والدته هيفايستوس أيضاً في الماء، بسبب كونه أعرج، وظل مختبئاً لمدة تسع سنين في كهف محاط بالماء. من خلال التبادل المعكوس، يتم تصوير الولادة (السقوط في الماء) هنا بوضوح على انها نهاية الأشهر التسعة من الحياة داخل الرحم. والأكثر شيوعاً من الولادة في الكهف هو التعريض في صندوق والتي جاءت في أسطورة مردوخ – تموز البابلية، كذلك في الأسطورة المصرية – الفينيقية، اوزيريس – أدونيس (انظر فنكلر، معتقدات الشرق القديم، الجزء الأول، صفحة 43، كذلك جيرمياس، نفس المصدر، صفحة 41). وفقاً لـ باوس، ج3، صفحة 24، فأن باخوس، تم ابعاده عن إضطهاد الملك من خلال تعريضه في صندوق على النيل، ليتم انقاذه بعمر ثلاثة أشهر من قبل ابنة الملك، وهو ما يوحي بالتشابه الملحوظ مع قصة (النبي) موسى. قصة مشابهة تروى ايضاً عن تينيس ابن كيكنوس، الذي ذكره في رابط آخر (انظر هيرمز، صفحة 48، والشرح) وعن آخرين كثيرين.

ويتضح حدوث نفس التصوير الرمزي بين السكان الأصليين في الأمثلة التالية: يروي بستوكين حكاية عن سارق النار (والبذور) البوليتيزي، ماني تيكي تيكي، الذي تم تعريضه مباشرة بعد ولادته، اذ ترميه أمه في البحر، ملفوفاً بمئزر (صندوق، تابوت). فروبينيوس أيضاً روى قصة مشابهه (المصدر السابق، صفحة 379)، من بيتسيمسياركا، حيث تم تعريض الطفل في الماء، والذي تعثر عليه امرأة غنية ليس لها اطفال وتقوم بتربيته، لكنه قرر أخيراً العثور على والديه الحقيقين.



**لذا فأن عملية التعريض، ترمز وبشكل مباشر لعملية الولادة وإن كانت تأتي بترتيب معاكس**

ولمن يعترض على هذا التصوير بسبب عكس النسق، عليه ان يتذكر ان الأحلام غالباً ما تسير بنفس هذه الآلية (أنظر كتاب معنى الحلم، الطبعة الثانية، صفحة 238)، ولتأكيد هذا التفسير لعملية تعريض الطفل لغرض التخلص منه كما هي مأخوذة من الرمزية المألوفة لطبيعة الأنسان يدعمه نفس المادة الأساسية في الحلم الذي رآه الجد (او بشكل آخر من الأم نفسها)[94] وكمثال في النسخة الكيتسية من اسطورة

---

وفقاً لتقرير باب (مجلة علم الأعراف، 1906، صفحة 281) فأن زوجة الراجابيسورجاي تم تصويرها مع طفل يطفوا على فقاعة من رغوة الماء (القصة من سنغافورة).

(94) الكتاب المذكور سابقاً لأبراهام "أحلام وأساطير" صفحة 23,22، الترجمة الإنكليزية، سلسلة مونوكراف، رقم 15، يحتوي على تحليل لحلم ولادة مشابه للغاية، رغم كونه أكثر تعقيداً، فيما يتعلق بالظروف الفعلية; الحالم، امرأة شابة حامل وتنتظر ولادتها

قورش، وقبل ولادته، فأن الأم الحامل تحلم بأن هناك تياراً من الماء يخرج من من حضنها ويغمر آسيا كلها وكأنه محيط مترامي الأطراف[95]. واللافت للنظر هنا،

---

بخوف، حلمت بولادة ابنها، ليظهر الماء مباشرة على شكل السائل السلوي (ماء المشيمة).

(95) إن خيال المياه الوفيرة هذا يوحي وبقوة الى المجموعة الواسعة الانتشار من أساطير الطوفان، والتي تبدو في الواقع ليس أكثر من مجرد تعبير عالمي عن أسطورة التعريض، اذ ان البطل هنا تمثله الانسانية جمعاء، الأب الغاضب هو الإله، كذلك تدمير وانقاذ الانسانية يتبعان بعضهما البعض في توالي مباشر، وفي هذا التماثل، من المهم ان نلاحظ ان الفلك او البيت الجمالي، والذي طفا نوح فيه على الماء تم تسميته في التوراة بـ (tebah) تيباه وهي نفس الكلمة التي اطلقت على الوعاء الذي تم تعريض موسى فيه (إرميا، المصدر السابق، صفحة 250)، لمعرفة دافع الطوفان، راجع إرميا صفحة 226، وليسمان، في خاتمة اطروحته عن ملحمة قورش في اوربا، حيث يوصف الفيضان بأنه تفريغ محتمل عن التعريض في المياه. هناك نموذج آخر للتفريغ عن الطوفان تم وصفه من قبل بادر، في الأساطير الشعبية البادينية (وهو اقليم اقصى جنوب فرنسا)، عندما كان يغمر الوادي الغارق بالمياه بين الحين والآخر، بسبب انفجار سحابة، شوهد طفل صغير يطفو في مهدً على سطح الماء، والذي ينقذ بأعجوبة من قبل قطة (غوستاف فريدريش، نفس المصدر السابق، صفحة 265). وقد سعى المؤلف الى شرح العلاقات النفسية

ان الكلدانيين فسروا أحلام الماء هذه على أنها احلام ولادة في كلتا حالتيها، وعلى الأرجح فأن هذه الأحلام نفسها مبنية على الرمزية القديمة المتداولة عالمياً، مع رؤية غير واضحة للروابط والعلاقات وذلك ما لاحظه فرويد وعرضه في دراساته، فهو يقول (في كتابه "تفسير الاحلام"، الطبعة الثانية، صفحة 199) في تعليقه على الحلم الذي تلقي فيه أمرأة (الحالمة) نفسها في مياه البحيرة المظلمة: الأحلام من هذا النوع هي أحلام ولادة وتفسيرها يتم بعكس الحقيقة التي وردت في الحلم الظاهر; وبالتحديد، بدلاً من أن يلقي نفسه في الماء، يعني الخروج من الماء أي ان يولد[96]. ورجاحة هذا التفسير الذي يجعل من حلم الماء بمثابة عملية التعريض يمكن تأكيده أيضاً من خلال حقيقة وردت

---

بين أسطورة التعريض وملحمة الطوفان، وأسطورة الأفتراس، في مقال بعنوان "الرموز المهيمنة في أحلام اليقظة وتكرارها في الفكر الأسطوري" (الكتاب السنوي للتحليل النفسي، الجزء الخامس، 1912).

(96) أنظر انقلاب المعاني في "تفسير فنكلر لعلم الكلمات" فيما يخص اسم موسى، صفحة 13.

في ملحمة قورش تحديداً التي تتضمن حلم الماء، لكن دافع التعريض في الماء مفقود، بينما السلة فقط التي لم تكن موجودة في الحلم، لعبت دوراً في عملية التعريض.

في هذا التفسير للتعريض على انه ولادة، يجب ان لا نربك انفسنا بمسألة الأختلاف في عملية تعاقب التجسيد الرمزي للعناصر الفردية مقارنة بعملية الولادة الحقيقية، فقد فَسَر فرويد الترتيب الزمني للأحداث أو حتى بترتيبها المعاكس نسبة الى الطريقة الشائعة التي يتم من خلالها تفصيل الذكريات داخل الخيال، بينما يمكن لنفس المادة ان تعود للظهور في الخيال لكن بترتيب جديد تماماً، دون ايلاء اي اهتمام للتسلسل الطبيعي للأحداث[97].

(97) وتبقى نفس الأحكام في صياغة الأحلام وفي انقلاب التخيلات الهستيرية الى نوبات مرضية (راجع تفسير الأحلام، صفحة 238، والحاشية في نفس الصفحة)، كذلك فرويد ( "معلومات اساسية عن النوبات الهستيرية") في مجموعة مقالات مختصرة عن نظرية العصاب النفسي، السلسة الثانية، صفحة 146 وما يليها.

إضافة الى هذا الأنعكاس في التسلسل الزمني، نجد ان عملية انعكاس ترتيب المحتويات تتطلب تفسيراً خاصاً بها، السبب الأول لتمثيل الولادة من خلال نقيضها: التعريض في الماء الذي يهدد الحياة اذ يمثل تأكيداً لعداء الوالدين تجاه بطل المستقبل[98]. ولهذا الفعل تأثيراً أبداعياً من خلال تمثيل الوالدين كأول وأقوى خصوم البطل، هذا ما يجعلنا نعطيه أهميته، عندما نضع في الأعتبار ان الرومانسية العائلية بأكملها تدين بوجودها الى الشعور بالأهمال، وبتعبير ادق العداء المفترض للوالدين.

وفي الملحمة يذهب هذا العداء بعيداً الى درجة رفض الوالدين السماح للطفل بالولادة، وهذا بالضبط سبب حسرة البطل، علاوة على ذلك، نرى ان الأسطورة تكشف لنا بوضوح عن الرغبة في فرض تحقيق تلك

---

(98) وفقاً لملاحظة اشار اليها يونغ، فأن هذا الانقلاب (الانعكاس) وفي زيادة تكراره الأسطوري يسمح بتقريب حياة البطل الى الحياة اليومية للدورة الشمسية (تغيرات ورموز الرغبة الجنسية، ج 2، جهرب. ف.، التحليل النفسي، الجزء الخامس، صفحة 253، 1912).

الولادة حتى ضد ارادة الوالدين. وهكذا فأن الخطر المميت الذي تستبطنه عملية تمثيل الولادة من خلال التعريض، هو فعلاً موجود في واقعية الولادة نفسها. وبذا فأن التغلب على كل هذه العقبات يعبر عن الفكرة ان بطل المستقبل قد تجاوز بالفعل أعظم المصاعب من خلال تحقق منقبة الولادة نفسها إذ أحبط منتصراً كافة المحاولات لمنع ذلك[99]. ويمكن ايضاً اضافة تفسير آخر، مبني على ان البطل الشاب الذي يتنبأ ان قَدَرهُ هو ان يذوق من مرارة الحياة اكثر مما يستحق، يعتبر ان عملية مجيئه الى الدنيا فعل عدائي يأسف عليه بتشاؤم، ويتهم والديه بأنهما من عرضاه لصراع الحياة هذا لمجرد ولادته[100]. ان رفض السماح بولادة الطفل

---

(99) البند الثاني من الجدول يأخذ في الاعتبار العفة الذاتية او الانفصال المطول للوالدين، والذي يؤدي بطبيعة الحال الى الحمل الاعجازي والولادة العذرية للأم. أوهام الإجهاض، التي يمكن تمييزها بشكل خاص في ملحمة زرادشت، تنتمي ايضاً الى هذا العنوان.

(100) يبدو ان المقارنة بين عملية الولادة وغرق السفينة التي اجراها الشاعر الروماني لوكريتوس، تشكل تناغماً تاماً مع هذه الرمزية: "انظر

والـذي يَعـود لـلأب بصـورة خاصـة يـتم اخفـاءه غالبـاً تحـت الـدافع المعـاكس إلا وهـو الرغبـة بأنجـاب طفـل (كما هو الحال في أوديب وبيرسيوس وغيرهـم)، بينما الموقـف العـدائي تجاه خليفـة المملكـة المسـتقبلي يـتم ارجاعـه الـى عوامـل خارجيـة وتحديـداً حكـم النبـؤة، والـذي يظهـر بأنـه البـديل للحلـم المشـؤوم، او قـل المرادف لتفسيره.

مـن وجهـة نظـر أخـرى، تُبـين الرومانسـية العائليـة، ان خيالات الطفل، ورغم انها مجافية للوالدين لكن ليس هناك ما تقوله عنهم سوى التأكيد على انهـم الوالـدين الحقيقين. وان اسطورة التعريض والمترجمة من خلال

---

الى الطفل، كأنه بحار سفينة غارقة، أُلقي على الشاطيء لسبب غضب بيلوس، الطفل المسكين يرقد على الأرض عارياً، مجرداً من كل سبل الوجود، بعد ان سحبته الطبيعة بألم من رحم أمه، والنحيب الحزين يملأ مكان ولادته، وهو على حق، لأن شروراً كثيرة تنتظره في الحياة" (لوكريثيـوس، حقيقـة الحيـاة، الجـزء الخـامس، صـفحة 222-227). وبالمثل النسخة الأولى من "اللصوص" لشسيلر في حديثه عن الطبيعة يقـول: "وهبتنـا روح الاختـراع عنـدما عَرضـتنا عـراة وعـاجزين علـى شاطيء المحيط العظيم، العالم، فيسبح من يستطيع ويهلك الأخرق".

الرمزية لا تحوي سوى الإقرار بأمومة الوالدة وانها ولدت البطل برغبة أبويه، لكن ويحسابات انحراف الأسطورة، وما ينتج عن ذلك من تحول في الموقف العدائي من الطفل الى الوالدين، فأن إقرار هذا النسب الحقيقي لا يمكن إظهاره الا من خلال التبرؤ من تلك الأبوة. ومن خلال فحص دقيق، يكون من الجدير بالذكر في المقام الأول ان الموقف العدائي للبطل تجاه والديه يتعلق بالأب بصورة خاصة. وكما في أسطورة اوديب أو باريس أو آخرين، عادة ما يتلقى الأب الملكي نبؤة عن كارثة تهدده من خلال ابنه المنتظر؛ وبهذا فأن الأب هو من يتسبب في تعريض الصبي، ومن ثم حتى بعد انقاذه غير المتوقع فأنه من يلاحقه ويهدده بكافة الوسائل الى ان يضطر أخيراً الى الخضوع لأبنه استناداً الى النبؤة. ومن أجل فهم هذه السمة التي تبدو مفزعة للوهلة الأولى، لا نحتاج الى مشقة الاستعانة بالغيب، انما يكفي ان ننظر بعقل منفتح وتفكير غير منحاز الى العلاقات بين الوالدين والابناء أو بين الأخوة أنفسهم كما هي موجودة في واقعنا

اليوم[101]. تلك العلاقات التي تصبح متوترة حالما يكون هناك تزاحم في المصالح بينهم، وان كان ذلك لا يعلن عنه عادةً لكنه كامن في حالة اللاشعور، ويظهر بين فترة وأخرى من خلال أزمات دورية بينهم. أضافة الى عوامل الاثارة التي تكون ميالة للألتفاف حول الموضوع بشكل خاص وكقاعدة عامة، فأن الجذر الأعمق لكراهية الأبن للأب الموجود في اللاوعي، أو حتى كراهية الأخوين لبعضهما البعض، يمكن ارجاعه الى التنافس في الأخلاص في حب الأم، وتظهر لنا أسطورة أوديب بوضوح، في خطوطها العامة فقط، دقة هذا التفسير، إذ أن قتل الأب هنا، يتبعه سفاح القربى مع الأم، هذه العلاقة المثيرة مع الأم، والتي تهيمن في دورات أسطورية أخرى يتم غض النظر عنها في أسطورة ولادة البطل[102]، لأن المجابهة ضد الأب تأخذ دوراً أقوى.

---

(101) انظر الى تصوير هذه العلاقة وعواقبها النفسية في كتاب فرويد "دلالة الأحلام".

(102) تعطي بعض الأساطير انطباعاً، كما لو أن علاقة الحب مع الأم قد أزيلت من النص، باعتبارها مرفوضة جداً في الوعي العام

ان حقيقة التمرد الطفولي ضد الأب في أساطير الولادة يثيرها على ما يبدو السلوك العدائي للأب العائد الى الانقلاب في العلاقة والمعروف بـ "الأسقاط"، بسبب

---

لأزمنة أو شعوب معينة. آثار هذا التعتيم لاتزال وضاحة حين المقارنة بين أساطير مختلفة أو حتى اصدارات مختلفة لنفس الأسطورة، وعلى سبيل المثال فأن قورش، في نسخة هيرودتس، هو أبن استاجيس، ولكن وفقاً لنسخة كيتسياس فأنه يجعل ابنة استياجيس، التي تغلب عليها، زوجة له، ويقتل زوجها، الذي في ترجمة هيرودتس هو والده، انظر هوسينيج "مساهمات في ملحمة قورش" الجزء 11. أيضاً مقارنة ملحمة داراب، مع الملحمة المشابهة لها جداً وهي ملحمة القديس غريغوري، والتي تقوم على حذف سفاح القربى مع الأم ببساطة، الذي يسبق الاعتراف بالأبن، والذي هو على العكس من ذلك حيث الأعتراف بالأبن يتلافى سفاح القربى. يمكن معالجة هذا التخفيف في حالة الولادة كما جاءت في أسطورة تيليفوس، حينما يكون البطل متزوجاً من والدته لكنه يتعرف عليها قبل اتمام سفاح القربى. ان الأخراج الشبيه بالحكاية الخيالية لملحمة تريستيان، الذي يجعل ايزولد تنتشل تريستيان الصغير من الماء (أي أنجبته)، يشير الى أصل موضوع سفاح القربى، حيث يتجلى في ممارسته السفاح مع زوجة العم. راجع أطروحة رانك "دافع سفاح القربى في الشعر والملحمة"، وفيه يتم تناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر، متناولاً فيه الكثير من التعقيدات التي تؤدي الى هذا الموضوع، والذي تضاءل كثيراً في زمننا الحاضر.

الخصائص الغريبة جداً في تركيبة البناء النفسي للأسطورة. كما ان آلية الأسقاط - تلك التي لعبت دورها أيضاً في أعادة تفسير عملية الولادة، عدا عن خصائص اخرى محددة في تشكيل الأسطورة سيتم مناقشتها لاحقاً – تستلزم توصيفاً متجانساً للأسطورة بأعتبارها بُنية مصابة بـ "جنون العظمة" (البارانويد)، من خلال تشابههما مع عمليات متميزة تخص آلية بعض الأضرابات النفسية. أما أرتباطها الوثيق بشخصية المصاب بجنون العظمة فهو من خلال خاصية فَصل أو تفكيك ما يكون مدمجاً في الخيال، هذه العملية التي يجسدها الزوجان الوالدان، توفر الأساس لتكوين الأسطورة، وتقدم لنا جنباً الى جنب مع آلية الأسقاط المفتاح لفهم سلسلة كاملة من مكونات الأسطورة التي يتعذر تفسيرها بغير ذلك. وطالما ان الدافع المحرك لهذا الأسقاط للموقف العدائي للبطل تجاه أبيه، يكشف عن الرغبة في تبريره، تلك التي تنشأ من الأدراك المقلق لهذه المشاعر تجاه الأب، فأن عملية الاستعاضة التي تبدأ بأسقاط ذلك الاحساس المقلق،

تبقى مستمرة بمساعدة من آلية الانفصال والتفكك، والتي وجدت وصفاً مختلفاً عن تقدمها التدريجي في صيغ مميزة جداً لأسطورة البطل. في الخلفية النفسية الأساسية، تكون شخصية الأب متطابقة مع شخصية الملك، الطاغية المُضطهِد، بينما نرى تخفيفاً لهذه العلاقة في الأساطير التي كانت فيها محاولات فعلية (من البطل) لفصل صورة الطاغية المُضطهِد عن الأب الحقيقي، ولكنها لم تنجز بالكامل، اذ ان الأول يبقى مرتبطاً بالبطل، وعادة ما يكون جَدَه، وكمثال على ذلك اسطورة قورش بكافة رواياتها، كذا في غالبية اساطير الأبطال عامةً. أما في الأساطير التي يتم فيها فصل صورة الأب عن صورة الملك فهذا الأسلوب يمثل الخطوة الأولى لرجوع الخيال (الفانتازيا) نحو الظروف الواقعية، وبناءاً على ذلك غالباً ما يظهر والد البطل في هذا النوع كرجل متواضع كما في ملحمة قورش وكلكامش وآخرين، وهكذا يصل البطل مرة أخرى الى التقرب من والديه واقامة العلاقة معهما، والتي تكون صياغتها من خلال حقيقة ان ليس البطل نفسه هو

الهدف الوحيد لأضطهاد الطاغية وانما أمه وأبيه ايضاً. في الوقت الذي يتضمن هذا الأسلوب أيضاً اكتساب البطل علاقة أكثر أُلفةً مع الأم (فغالباً ما يُعرَضون سويةً كما في بيرسيوس، تيليفوس وفريدون)، التي تكون قريبة منه بناءاً على هذه العلاقة الحميمية، في حين ان العدول عن كراهيته تجاه الأب يمكن ان يوصف برد الفعل الأضطراري [103] لأن ظهور البطل بعد ذلك(كما في هاملت) لا يكون بدور المُضطَهد لوالده (أو جده)، وانما المنتقم للأب المُضطَهد، وهذا ما يستلزم وجود علاقة أعمق بين ملحمة هاملت والملحمة الايرانية كيخسرو، عندما يظهر البطل كمنتقم لمقتل والده (أنظر فريدون وآخرين).

كما ان شخصية الجد نفسه والتي تظهر في بعض الملاحم انها استبدلت بأقارب آخرين (كالعم مثلاً في ملحمة هاملت)، تتوفر على معنى أعمق[104]، فتركيبة

---

(103) تمت مناقشة ميكانيكية هذا الدفاع في كتاب فرويد (تفسير الأحلام، تحليل هاملت، صفحة 183، الحاشية).

(104) فيما يتعلق بمعاني أكثر لكلمة "الجد" راجع فرويد "تحليلات الرهاب عند الأطفال بعمر 5 سنوات" (الكتاب السنوي للتحليلات

الأسطورة التي تحتوي على السفاح مع الأم – وما يصاحبه من تمرد على الأب – تدمج هنا مع التركيبة الرئيسية الأخرى، والتي تضم في محتوياتها علاقة حميمية بين الأب وإبنته. تحت هذا العنوان تنضم مجموعات واسعة ومتشعبة من الملاحم (جُمعت في إصدار للمؤلف بعنوان "كتاب سفاح القربى"، الفصل الحادي عشر)، تلك القصة التي تُروى في اصدارات متعددة، لطفل حديث الولادة، يتم التنبؤ له، بأنه سيصبح صهراً ووريثاً لحاكم أو (ملك) معين، والذي يتمكن من فعل ذلك أخيراً رغم كل أنواع الاضطهاد التي يتعرض لها كالتعريض وما الى ذلك من جانب ذلك الملك. وهناك مصادر ادبية تتناول بالتفصيل هذه القصة الواسعة الانتشار (راجع كتاب ر. كولَر، "الخطوط الصغيرة" (وثائق قصيرة متواضعة)، الجزء 2، صفحة 357). فالأب الذي يرفض اعطاء ابنته لأي من

---

النفسية، العدد 1، 1909، صفحة 378، كذلك مشاركات جونز، ابراهام وفيرنزي، المجلة العالمية للتحليل النفسي الطبي، الجزء 1، 1913، عدد أذار).

خطابها، أو أن يضع شروطاً تعجيزية لموافقته، يفعل ذلك لأنه فعلاً يستكثرها على اولئك الخاطبين او غيرهم، وحين يُشاع بأنه يرغب أمتلاكها لنفسه، يقوم بحبسها في مكان لا يمكن الوصول اليه، حفاظاً على عذريتها (كما في بيرسيوس، كلكامش، تيليفوس، رومولوس)، ويومَ يُعصى أمره، يقوم بمطاردتها هي وذريتها بكل هَوَس الكراهية، ومع ذلك، فأن تلك الدوافع الشهوية الموجودة في حالة اللاوعي – والتي سينتقم منه حفيده لاحقاً – تقدم لنا الشاهد مرة أخرى ان البطل سيقوم بقتل الرجل الذي يحاول سلبه حب والدته: وهو الأب.

وفي محاولة الرجوع الى نوع اكثر أصالة يتجسد في السمة التالية: العودة الى الأب المتواضع، تلك التي تتحقق من خلال عملية الفصل بين دور الأب عن دور الملك، والتي تُنسخ مرة أخرى، عبر الأرتقاء الأضافي للأب المتواضع الى مرتبة الإله كما في بريسيوس، والابناء من الأمهات العذارى: كارنا، أيون وآخرين. وتتجلى السمة الإضافية لهذه الأبوة الإلهية بصورة

خاصة في تلك الأساطير التي تتزوج فيها العذراء من إنسان بعد ان تكون حاملاً بجنين إلهي (كما في كارنا، أيون)، والذي يظهر على انه الأب الحقيقي، في حين أن الإله هو الأب، في الحقيقة لا يمثل ذلك الا فكرة طفولية سامية عن عظمة الأب وقوته وكماله(105). وفي نفس الوقت، تؤكد هذه الأساطير وبقوة على دافع عذرية الأم – كما ذكرناه سابقاً – وربما يكون الحافز الأولي هو تلك النزعة المتسامية فوق العادة التي يستلزمها إقحام الإله، كذا، فأن الولادة من العذراء هي أعظم صورة للتنصل الصارخ من الأب، وإكتمال الأسطورة كلياً كما نرى في اسطورة سرجون التي لا تقدم أي أب، سوى الأم العذراء.

---

(105) هناك تعريف مماثل عن الأب مع الإله (الأب السماوي وما شابهه) استناداً الى فرويد يحدث بنفس النسق في خيالات النشاط النفسي المرضي وغير المرضي، كتعبير عن الأب الإمبراطور. ومن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد ان معظم الشعوب تستمد أصولها من أبيهم ابراهيم (ابراهيم، "الحلم والأسطورة"، سلسلة الدراسات، رقم 15).

المرحلة الأخيرة لهذا التوهين التدريجي للعلاقة العدائية مع الأب تتمثل في تلك الصيغة من الأسطورة التي لا تظهر فيها شخصية الملك المضطهد منفصلة تماماً عن شخصية الأب، فحسب، بل انها تفقد حتى ابعد صلة قرابة مع عائلة البطل وتلاحقها بأكثر الطرق عدائية (كما في فريدون، الملك هيرودس ضد يسوع، وآخرين). وعلى الرغم من ظهوره بشخصية ثلاثية الابعاد، الملك، والأب، والمضطهد، فانه يستبقي دور الملك المضطهد أو الطاغية فقط، الا ان حَبك الأسطورة بأكملها يعطي الانطباع كما لو ان شيئاً لم يتغير، ولكن لو تم استبدال تسمية "الأب" ببساطة بمصطلح "الطاغية"، فأن تفسير دور الأب هذا على انه "طاغية" هو أمر نموذجي في التفكير الطفولي[106]،

(106) من الأمثلة المسلية على حس الفكاهة اللاشعوري عند الأطفال هو ما نشر في أحد الصحف اليومية: ان احد السياسيين يشرح لأبنه معنى كلمة الطاغية فيقول: هو رجل يجبر الآخرين على فعل ما يأمرهم به، بدون النظر بأعتبار الى رغباتهم، فيجيب الطفل: حسناً، اذن أنت وأمي طغاة أيضاً.

سنجده لاحقاً يحتل الأهمية الكبرى في تفسير بعض الانماط الشاذة من هذه التركيبة.

النموذج الأولي لهذا التماهي بين شخصية الملك والأب، والذي يتكرر ايضاً بأنتظام في احلام البالغين، من المحتمل ان يكون هو أصل "فكرة" الملكية المتأتية من الحالة البطريكية في العائلة، والتي لا يزال بالأمكان توثيقها من خلال الاستخدام المزدوج لكلمة الأب والملك في اللغات الهندو-جرمانية[107] (في الألمانية فأن الحاكم يدعى "Landesvater"، وترجمته الحرفية: والد البلاد وتعني الملك). ان عملية عكس الرومانسية العائلية الى الظروف الفعلية غالباً ما يتحقق بالكامل في هذا النوع من الأساطير، اذ يتم الاعتراف بالوالدين المتواضعين بصراحة تبدو نقيضاً مباشراً لتوجه الأسطورة بأكملها.

---

(107) انظر ماكس مولر، "المقالات"، الجزء 2، (لايبزج، 1869)، صفحة 20 وما بعدها، فيما يتعلق بالاحتمالات النفسية المختلفة لهذا الإطار، انظر صفحة 83 والصفحات الأخرى من كتاب "سفاح القربى" للمؤلف.

وبصورة دقيقة، فأن هذا الايضاح للظروف الفعلية، والذي كان لابد من تركه حتى الآن للتفسير، يُمكننا من اثبات دقة ذلك التفسير المستنبطة من المادة نفسها، ولهذا الغرض أخترنا قصة موسى من الأنجيل لأنها تدعم وبشكل جيد هذا المغزى.

وبإيجاز نتائج آلية التفسير السابقة، ولجعل الأمور أكثر وضوحاً، نجد ان الزوجين الوالدين متماثلان، بعد إعادة ربط أنقسامهما الى شخصيتي الأب والطاغية الظالم. أما الوالدان النبيلان بالولادة فما هما الا صدى للمفاهيم المبالغ فيها التي كانت لدى الطفل بالأساس فيما يخص والديه. وفي الواقع تظهر قصة موسى ان والدي البطل مجردان من كل الصفات المميزة، فهم ناس بسطاء، يرتبطون بطفلهم بأخلاص، ولا يمكن أن يؤذوه، في الوقت نفسه، فأن التأكيد على مشاعر العطاء عند الطفل هو اثبات للأبوة الفيزيولوجية (الجسدية)، في هذه الحالة او غيرها (كما في شخصية الفلاح أكي في ملحمة كلكامش (*)، العربجي في ملحة كارنا، صياد

(*) أكي أو عكي: ورد في ملحمة سرجون انه الساقي.

السمك في ملحمة بيرسيوس، وما الى ذلك)، وما الاستخدام السلمي لدافع التعريض، الذي يحدث في هذا النوع من الأساطير، إلا إشارة الى ذلك النوع من العلاقة. ان يتم التخلي عن الطفل في سلة ورميه في الماء، لكن ليس لغرض قتله، ولكن لأنقاذه (كما هو الحال في التعريض العدائي لأوديب والعديد من الأبطال الآخرين)، كذا فأن التحذير المحفوف بالخطر الذي يتلقاه الأب النبيل ينعكس كنبؤة مفعمة بالأمل بالنسبة للأب المتواضع (انظر في قصة ميلاد يسوع، نبؤة حلم كل من هيرودس ويوسف). وهو ما يتوافق بشكل تام مع كل الآمال التي يرسمها الأباء للسيرة الخاصة بذريتهم.

وبالإبقاء على الاتجاه الأساسي للرومانسية وحقيقة أن بيتيا ابنة فرعون، انتشلت الطفل من الماء، بمعنى أنجبته، تكون النتيجة هي الموضوع المألوف للملك (نوع الجد)، حينما تكون بنت الملك حاملاً بطفل، لكن بعد تحذير الملك من التفسير المشؤوم للحلم، يقرر قتل حفيده القادم، وكذا فأن خادمة ابنة فرعون

(التي تنتشل الصندوق من الماء، بناءاً على طلب الأميرة حسب القصة التوراتية)، تكون هي المكلفة من قبل الملك بتعريض الطفل المولود حديثاً، من خلال وضعه في صندوق ورميه في نهر النيل، ما يمكن ان يكون مميتاً له (يظهر هنا دافع التعريض من وجهة نظر الآباء النبلاء في دلالته المأساوية الأساسية)، ثم يتم بعد ذلك العثور على الصندوق وبداخله الطفل من قبل اشخاص متواضعين، وتقوم المرأة البسيطة برعايته (كمرضعة له)، وعندما يكبر تعترف به الأميرة كابناً لها (تماماً كما في النموذج الأولي حينما ينتهي الخيال بالأعتراف بالأبن من قبل والديه النبلاء).

اذا وضعنا أمامنا ملحمة موسى بهذا الشكل الأكثر أصالة وبالطريقة التي قمنا بأعادة تشكيلها من موادها الموجودة[109]، سيكون حاصل آلية التفسير تقريباً كما

---

(109) انظر أي. ماير (تقرير د. كوغل بروديس. أكد. د. فيس رقم 31، 1905، صفحة 640)، ملاحم موسى واللاويين، ان موسى في الأصل كان أبناً لأبنة الطاغية (التي هي أمه المربية فيما بعد) والتي يحتمل انها من أصل ألهي. (ربما يرجع التفصيل اللاحق الى دوافع شعبية).

جاء في الأسطورة الأساسية المنقولة الينا. أي أن والدته الحقيقية لم تكن أميرة، بل أمرأة مسكينة، أخذت دور المرضعة، كما أن زوجها هو والد البطل.

نستعرض هذا التفسير كتقليد متبع في الأسطورة المعكوسة، وفي الحقيقة ان هذا التتبع للتغيرات التدريجية، والذي يدعم النوع المألوف من اسطورة البطل، لهو الدليل على صحة تفسيرنا.

وأيضاً كان من حسن حظنا ان نبين وبدقة كاملة آليتنا التفسيرية على المادة نفسها، والآن حان الوقت لبرهنة امكانية وجهة النظر العامة التي استندت عليها هذه الآلية. لغاية الآن صاغت نتائج تفسيرنا مظهر تركيب الأسطورة بأكمله على انه يبدأ من البطل نفسه، أي من البطل الشاب. في البداية، اتخذنا توجهاً في تشبيه بطل الأسطورة بالأنا الموجودة عند الطفل، والآن نجد انفسنا أمام واجب توفيق هذه الأفتراضات والاستنتاجات مع المفاهيم الأخرى لصياغة الأسطورة والتي تبدو انها تتعارض بشكل مباشر.

من المؤكد ان الأساطير لا يؤلفها البطل نفسه، أو على الأقل الطفل البطل، اذ أنها معروفة لدينا تأريخياً أنها نتاج لأناس بالغين، ومن الواضح ان الدافع يأتي من الاعجاب الجمعي لظهور بطل له تاريخ حياة خارقة لا يمكن لهم أن يتخيلوها الا مع طفولة خارقة، ومع ذلك فأن هذه الطفولة الغير عادية للبطل قد تم استحداثها من قبل مؤلفي الأساطير انفسهم - الذين يجب ان تنسب اليهم تلك الفكرة المبتكرة في العقل الجمعي - من وحي طفولتهم، من خلال استخدام البطل في تاريخهم الطفولي، ومحاولة التماثل معه، مدعين انهم كانوا ابطالاً يشبهونه في شخصيتهم كما مر بنا، فالبطل الحقيقي لتلك الرومانسية هو الأنا الموجودة في نفس البطل، وذلك بالعودة الى الزمن الذي كانت فيه الأنا نفسها بطلاً، من خلال اول اعمالها البطولية، وهي الثورة على الأب، والأنا لا تجد بطولتها الخاصة إلا في عمر الطفولة، ولذا تكون مجبرة على استثمار البطل في تمردها الخاص بها، ونسبة الفضل اليه في المميزات التي جعلت من الأنا بطلاً، لقد تحقق هذا

الباعث، بمواد ودوافع طفولية، من خلال الرجوع الى الرومانسية الطفولية ومن ثم نقلها الى شخصية البطل. لذلك فأن الأساطير ألفها البالغون عن طريق خيالات الطفولة الأرتدادية[110]، والبطل تم ابتكاره بواسطة التاريخ الطفولي الشخصي لكاتب الاسطورة نفسه، في حين ان التوجه العام لهذا الأسلوب هو ايجاد المبرر لكل فرد ضمن مجموعة معينة للتمرد الطفولي ضد الأب.

من خلال وجود المبرر للبطل في تمرده الثوري، فأن الأسطورة توفر ايضاً للفرد عذراً في تمرده ضد الأب، هذا التمرد الذي أثقل كاهله منذ الطفولة، كونه فشل في أن يصبح بطلاً، بينما هو الآن قادر على ايجاد العذر لنفسه في عدائه للأب، من خلال التأكيد على ان والده قد وفر الأرضية لذلك العداء، وفي نفس الوقت فأن الأحساس بالحنان تجاه الأب يتجلى في نفس الخيال

---

(110) هذه الفكرة المستمدة من علم الخيال العصابي وتكوين الأعراض استخدمها البروفسور فرويد في تفسير العمل الرومانسي والأسطوري للخيال الشعري في محاضرة بعنوان "شعراء وتصورات" (السلسة الثانية من المقالات القصيرة المجمعة)، صفحة 1970.

أيضاً كما رأينا سابقاً. وعليه فقد انبثقت الأساطير من خلال دافعين متناقضين كل منهما متعلقاً بدافع تبرير موقف الفرد من خلال شخصية البطل، فمن ناحية هناك دافع المودة والامتنان تجاه الوالدين، وكذلك دافع التمرد ضد الأب من ناحية أخرى، مع ذلك لم يظهر في هذه الأساطير ان الأزمة مع الأب منشأها التنافس الجنسي مع الأم، لكن يبدوا ان هذه الأزمة تعود في المقام الأول الى جهله بالعملية الجنسية (عند الولادة)، والتي أصبحت لغزاً للطفل، هذا اللغز يلقى حلاً رمزياً ومؤقتاً في النظرية الجنسية الطفولية المتمثلة بالسلة والماء(111).

ولقد تم مناقشة الدور الأساسي لعامل سفاح القربى في تكوين الأسطورة في التحقيق الخاص بالمؤلف في ملحمة لونجرين، التي تنتمي الى صنف اسطورة ولادة البطل. كما تم تصنيف الشخصية الدورية في ملحمة

---

(111) بالنسبة للتشابهات العرقية – النفسية وغيرها من النظريات الجنسية الطفولية التي تلقي بعض الضوء على الأسطورة التكميلية لأنجاب البطل، أنظر أطروحة المؤلف في الصحيفة المركزية للتحليلات النفسية، الجزء 2، 1911، صفحة 392-425.

لونجرين على انها من خيال ان يكون المرء ابناً لنفسه كما بَينَ فرويد (صفحة 131، قارن أيضاً صفحة 96 و 990). وفي بعض الأساطير، فأن العلاقة بين الاب وأبنه، كذلك تكرار سيرتهم المهنية يفسر حقيقة ان البطل احياناً لا يتم تعريضه حتى يصل مرحلة البلوغ، كذلك العلاقة الصميمية بين الولادة والموت، دافع التعريض (فيما يتعلق بالماء عندما يكون بمثابة الموت، قارن بشكل خاص الجزء الرابع من ملحمة لونجرين). أما يونج فقد اعتبر ان المصير النموذجي للبطل بمثابة تصوير للرغبة الجنسية البشرية وتقلباتها النمطية، وجعل من هذا الموضوع محوراً في تفسيره، باعتباره خيالاً للولادة الثانية، الذي يتفرع عنه دافع سفاح القربى، ليس فقط ولادة البطل تلك التي تحدث تحت ظروف رمزية خاصة بها، بل أيضاً الدافع بوجود والدتين للبطل، التي فسرها يونج من خلال ولادة البطل التي تحدث في ظل ظروف غامضة لأعادة الولادة من الأم القرينة (المرجع السابق، صفحة 356).

بعد ان شرحنا بأيجاز مضامين اسطورة ولادة البطل، يبقى علينا أن نشير الى بعض الأشكالات في اسطورة الولادة نفسها، التي تم تفسيرها على قاعدة جنون العظمة بأعتبارها "انفصامات" في شخصية الأب الملكي والمضطهد، إلا أنه في بعض الاساطير، وخاصة في القصص الخيالية التي تنتمي الى هذه المجموعة[112] فان مضاعفة الشخصيات الأسطورية، ومعها بالطبع تعدد الدوافع، أو حتى الحكايات بأكملها، يؤدي في بعض الاحيان الى التغطية على

---

(112) الحكايات الخيالية التي تم استبعادها من الاعتبار في السياق، بسبب هذه التعقيدات تحديداً، تشمل بشكل خاص: "الشيطان ذو الشعرات الثلاث الذهبية" (جريم، رقم 29)، و "ملحمة الإمبراطور هنري الثالث" المشابهة لها جداً (غريم، الملاحم الألمانية، الجزء 2، صفحة 177)، "ووتر- بيتر" مع العديد من الأختلافات، (جريم، ج 3، صفحة 103) "العثور على الطيور" (رقم 51)، "الطيور الثلاثة" (رقم69)، "ملك الجبل الذهبي" (رقم 92)، وما شابهها، كذلك بعض الحكايات الخرافية الأجنبية (الخارجية) التي نقلها باور، في نهاية مقاله. راجع كذلك، هان، "الحكايات الخرافية اليونانية والألبانية" (لايبزج، 1864) مراجعة لحكايات التعريض والأساطير، خاصة رقم 20 و 69.

السمات الأساسية تماماً من خلال هذه الاضافات، ويكون هذا الاكثار متنوعاً ومتقدماً للغاية لدرجة ان آلية التحليل لا تحقق هدفها، علاوة على ذلك فأن الشخصيات الجديدة هنا لا تُظهر نفس الأستقلالية التي كانت عليها، كما هي الشخصيات الجديدة التي استحدثت بالانقسام، لكنها تقدم صفات النسخة، أو "المزدوج" وهو المصطلح المناسب للاستخدام في علم الأساطير. ومن الأمثلة الواضحة والمعقدة جداً في نفس الوقت، هو نسخة هيروديتس من ملحمة قورش، يتضح منها ان هذه الشخصيات المزدوجة لم يتم ادخالها للتزويق فقط، او لإعطاء صورة من الموثوقية التاريخية، بل انها مرتبطة بشكل وثيق بتركيبة الأسطورة ومجرى الاحداث فيها، كذلك في اسطورة قورش، كما في غيرها، فأن الجد الملك استياجيس وابنته وزوجها يقابلون راعي الماشية وزوجته، كذلك يجري حشد مجموعة مختلفة من الشخصيات الأخرى التي تتحرك حولهم، مجموعةً بسهولة في أفق الملحمة: بين الزوجين الأبوين النبيلين بالولادة وطفلهما يقف الوزير

هارباجوس وزوجته وأبنه، كذلك النبيل ارتيمبارس وذريته الشرعية، ان احساسنا المتولد من الخبرة بخصائص البنية الأسطورية يميز فوراً ثنائية الوالدين، في شخصيات الزوجين الوالدين الوسيطين، ونرى ان جميع المشاركين هم شخصيات مطابقة للوالدين وطفلهم، على ان هذا التفسير تم تقديمه من خلال سمات معينة للأسطورة نفسها. هارباجوس يستلم الطفل من الملك لغرض تعريضه، لذا فهو يتصرف تماماً مثل الأب الملكي ويبقى صادقاً مع دوره الأبوي الوهمي في احجامه عن قتل الطفل بنفسه - لوجود رابط بينهما - لكنه وبدلاً من ذلك يسلمه الى الراعي ميثرادتيس الذي سيظهر ايضاً كما هو هارباجوس. النبيل ارتيمبارس الذي تسبب قورش في جلد إبنه، يظهر ايضاً متشابهاً مع هارباجوس لأنه عندما يقف ارتيمبارس مع ابنه المجلود أمام الملك، للمطالبة بالعقاب، يظهر هارباجوس ايضاً وكأنه واقفاً أمام الملك للدفاع عن نفسه. وهو أيضاً أُجبر على تقديم أبنه للملك، وهكذا يمثل ارتيمبارس نفسه دوراً مرحلياً

بصفته والداً للبطل، وهذا ما تؤكده النسخة الكتيسية تماماً، التي تخبرنا ان النبيل الذي تبنى ابن الراعي قورش، كأبن له اسمه ارتيمبارس.

وما هو أكثر تميزاً من هوية الآباء المتعددين، هو تعدد شخصيات ابناءهم، الذي يؤدي بدوره الى تأكيد شخصية الآباء، ففي المقام الأول - وهذا ما يبدو مقنعاً - فأن الأبناء كلهم بنفس العمر، ليس فقط ابن الأميرة، وأبن الراعي الذين ولدوا في نفس الوقت، لكن وحسب رواية هيروديتس، الذي يؤكد بشكل خاص ان قورش لعب لعبة الملوك - التي تسببت في جلد ابن ارتيمبارس – مع صبية من نفس العمر، كذلك يشير هيروديتس وربما عن قصد، ان ابن هارباجوس، كان مقرراً ان يصبح شريكاً لقورش في اللعبة، كان على ما يبدو في نفس عمر قورش، علاوة على ذلك، فأن ما تبقى من الصبي بعد قتله وتقطيعه، يتم وضعه أمام والده هارباجوس في سلة، وهناك أيضاً السلة التي كان من المقرر ان يتم تعريض المولود الجديد قورش بها، وهذا ما حدث فعلاً لبديله ابن الراعي (الذي

يتطابق مع قورش بشكل واضح وملموس في رواية يوستين، صفحة 34). في هذه الرواية، تم بالفعل استبدال قورش مع ابن الرعاة الذي كان حياً، لكن هذا الشعور الأبوي المتناقض، ينسجم مع الأدراك، بأن هذا التبادل لم يغير شيئاً من الواقع على الأطلاق، وبالطبع يبدوا واضحاً، ان زوجة الراعي رغبت في تربية ابن الملك الحي، بدلاً من مولودها الميت، كذلك يظهر في رواية هيرودتس، انه كما واجه ابن الراعي الموت بدلاً من قورش في البداية، فأنه وبعد اثنتا عشرة سنة، يُقتل ابن هارياجوس (وفي سلة أيضاً) فوراً ومن أجل قورش، الذي مَكّنهُ هارباجوس نفسه من العيش[113].

وبذلك يتكون لدينا الأنطباع بأن جميع الأنماط الأخرى لقورش والتي تم استحداثها لغرض معين، يتم

(113) هناك رابط يغذي (يدعم) دافع التوأم، الذي من خلاله نتعرف على الصبيين المولودين في نفس الوقت، أحدهما يموت من أجل الآخر، سواء كان ذلك بعد الولادة مباشرةٍ أو لاحقاً، والذين يظهر آباؤهم منقسمين في اساطيرنا الى زوجين أو أكثر من الآباء وفيما يتعلق بالمغزى المحتمل لهذا الأخ التوأم الغامض بعد الولادة، راجع مناقشة المؤلف في كتاب سفاح القربى (صفحة 457 – الخ).

ازالتها من المشهد مرة أخرى، على أنها عناصر مُربكة، وهذا الهدف بلا شك يمثل نزعة التبجيل المتأصلة في الرومانسية العائلية. البطل في مزدوجاته المختلفة ومزدوجات والديه، يتسلق في مكانته الاجتماعية، من مستوى الراعي ميثرادتس - وعن طريق النبيل ارتيمبارس وكذلك الوزير هارباجوس - مرتبط مباشرة بالملك - حتى يصبح نفسه أميراً ; وفي النسخة الكيتيسية، تكون مسيرته المهنية واضحة حين يرتقي قورش من أبناً لراعي الى وزيراً عند الملك[114]. وبهذه الطريقة، فهو يزيل بثبات آخر الأثار لصعوده حين يتم

(114 ) التاريخ المبكر لزيكرد كما ورد في ملحمة فولسونغا (انظر راسمان، ج 1، صفحة 99) يشبه الى حد كبير النسخة الكيتيسية من ملحمة قورش الذي يمنحنا طبيعة المهنة الرائعة لبطل آخر، جنباً الى جنب مع اعادة الترتيب المنطقية الخاصة بها، لمزيد من التفاصيل، انظر باور، صفحة 554، كذلك التاريخ الانجيلي ليوسف (موسى، صفحة 37 وما يليها)، مع التعريض، والتضحية بالحيوان والأحلام والأخوة الغامضين والمهنة المميزة لهذا البطل، يبدو انها تنتمي الى هذا النوع من الأسطورة.

التخلص من قورش الأدنى بعد الانعتاق من المراحل المختلفة من حياته المهنية[115].

(115) من أجل تجنب سوء الفهم، يبدو من الضروري التأكيد في هذا المفصل على الأساس التاريخي لبعض أساطير الأبطال، فمثلاً قورش، الذي ينحدر كما تظهر تلك النقوش التي تم اكتشافها (راجع دونكر، صفحة 289، باور، صفحة 498) من عائلة توارثت البيت الملكي، لذا ليس من الممكن أن يكون هدف الأسطورة هو ترقية نسب قورش، ولا يجب كذلك اعتبار التفسير السابق بمثابة محاولة لإيجاد نسب (متواضع) لقورش. نفس الظروف تنطبق على حالة سرجون، الذي كان والده معروفاً كملك (انظر جيرمياس، صفحة 410، الحاشية)، وبالرغم من ذلك، يكتب أحد المؤرخين عن سرجون كما يلي (في صحيفة دويتشه روندشاو، بعنوان بدايات تشكيل الدولة في بابل، تموز، 1905): "من خلال الدليل يتبين انه ليس من أصل ملكي، أو لم يكن بالإمكان تأليف هكذا ملحمة عن ولادته وشبابه"، وسيكون خطأ فادحاً اعتبار تفسيرنا على أنه دليل على ذلك. ومرة أخرى فأن التناقض الواضح الذي قد يكون عائقاً أمام رؤيتنا – في ظل طريقة أخرى للتفسير – يكون دليلاً على صحة ذلك التفسير، من خلال الفكرة التي تقول ان رجلاً عادياً قد كتب الأسطورة، وليس البطل نفسه، هذا الرجل الذي كان يتمنى ان يصف نفسه بهذه الطريقة. يتخيل الناس البطل بهذه الطريقة، مستثمرينه في خيالهم الطفولي، غير آبهين بمدى توافقها من عدمه مع الحقائق التاريخية، ما يساعد ذلك أيضاً في انتقال الدوافع المثالية، سواء كان

وهكذا تم تبسيط هذه الأسطورة المعقدة بما تحويه من نسق مشوش من الشخصيات، واختزالها الى ثلاثة ممثلين، وهم البطل ووالديه. تشمل تلك الأحكام أساطيراً أخرى فيما يتعلق بعملية "سبكها"، على سبيل المثال، قد تكون الأبنة هي "المزدوج" كما في قصة موسى، فمن أجل ايجاد هوية للعائلتين[116]، تظهر الأم الأميرة، في المجتمع الفقير على أنها الأبنة مريم، التي هي مجرد انشقاق عن الأم، والظهور الأخير ينقسم بين الأميرة والمرأة الفقيرة، وعندما يتعلق موضوع "المزدوج" بالأب، تكون القاعدة انه احد الأقارب وعلى الأخص أحد أخوته، كما في ملحمة هاملت، تمييزاً له عن باقي الشخصيات الطارئة (الخارجية) التي

---

ذلك في عائلة البطل لعدة أجيال، أو الى شخصيات تأريخية بصورة عامة (فيما يتعلق بالقيصر أوغسطس وآخرين، راجع يوزنر، راين، الأعراض الطبية الغير معروفة، أل. في. صفحة 271).

(116) تم التعريف بهذه العوائل في بعض الأساطير بأدق التفاصيل، كما في ملحمة أوديب على سبيل المثال، حين تم تعويض زوجان ملكيان بأخران كفؤ لهما، وحتى الراعي الذي يستلم الرضيع لغرض تعريضه فله نظير محدد من الرعاة والذي يفوضه بعملية انقاذ الصبي.

أوجدها تحليل الملحمة. وبطريقة مشابهه، فأن الجد الذي يأخذ دور الأب، قد يكون مكملاً بواسطة الأخ، الذي يكون العم الأكبر للبطل، وبالتالي خصمهُ، كما في أساطير رومولوس وبيرسيوس وغيرها. كذلك في التشكيلات الأسطورية المعقدة ظاهرياً، يمكن ملاحظة "مزودجات" أخرى، عند تأملها من هذه الزاوية، كما هو الحال في أساطير كيخسرو وفريدون وغيرها.

ان ازدواجية الآباء أو الأجداد، على التوالي، بواسطة الأخ قد تمتد الى الجيل الثاني، وتتعلق بالبطل نفسه، ما يؤدي الى " أساطير الأخ"، والتي يمكن التلميح لها فقط من خلال ربطها بالموضوع الحالي، ففي ملحمة قورش، تختفي النماذج الأولية للصبي بسهولة بعد ان تؤدي غرضها، وهو تمجيد أصل البطل، واذا كان هناك افتراض لأعطائها حيوية خاصة بها، فأنها ستقوم بمواجهة شخصية البطل كمنافس بحقوق متساوية، أي أحد أخوته، ومن الوارد أيضاً، المحافظة على التسلسل الأصلي من خلال تفسير "مزدوج" البطل، كظل، إولئك الذين يحبون الأخ التوأم، ويجب ان يموتوا من أجل

البطل. وعليه فكل من يقف في طريق الأبن البالغ، ليس فقط الأب بل حتى المنافس المتداخل أو الأخ، سوف يتم أزالتهم. بتصرف أقل ما يوصف بأنه ادراك ساذج للخيال الطفولي، ولغرض بسيط هو ان البطل لا يريد عائلة.

تتضمن ملابسات اسطورة البطل مع الحلقات الأخرى للأسطورة - الى جانب اسطورة الأخوة الأعداء، التي انصرفنا منها، كذلك اسطورة سفاح القربى الفعلية، كما هي نواة اسطورة أوديب - الأم وعلاقتها بالبطل في خلفية اسطورة ولادة البطل بيد ان هناك دافع آخر واضح وهو تمثيل الأم المتواضعة بحيوان في الغالب. ودوافع استخدام الحيوانات الحاضنة[117] هذا، يعود

---

(117) انظر غوبيرناتيس، علم الاساطير الحيوانية، لندن، 1872 (في الألمانية: لـ هارتمان: الحيوانات في علم الأساطير الهندو – جيرمانية، لايبزج 1874)، أما فيما يتعلق بدلالة الحيوانات في أساطير التعريض، انظر أيضاً مساهمات باور (صفحة 574 وما يليها)، غولدزيهر (صفحة 274)، كذلك ليبرشت، من الفولكلور (رومولوس والجراء)، هايلبرون، 1879.

في جزء منه الى مجموعة من العناصر الخارجية، التي لا يتسع شرحها هنا في هذا البحث[118].

لكن يمكننا ملائمة الدافع الحيواني مع توجه تفسيرنا هذا على أساس الانعكاسات التالية: بنفس الطريقة التي يبـرر بهـا الأسـقاط علـى الأب الموقـف العـدائي مـن جانب الأبن، كذلك خفض مرتبة الأم الى حيوان، يعني بالمقابل تبرير جحود الأبن الذي يتنكر لأمه، وبطريقة مماثلة، فأن فصل دور الملك المضطهد عن دور الأب، يؤدي الى ان الدور المخصص للأم هو المرضعة في هذا الاستبدال بالحيوان، الذي يرجع أيضاً الى تفريق دور الأم الــى دوريــن، الأم التــي تحمــل بالطفــل، والمرضـعة، هـذا الأنقسـام خاضـع ايضـاً الـى (نزعـة التبجيـل)، بقـدر مـا يكـون دور الأم التي تحمـل الطفـل مخصصــاً لــلأم النبيلــة بالنســب، نــرى أن المــرأة

(118) راجع مقالة فرويد حول التكرار الطفولي للطوطمية (إيماجو، ج2، 1913) اما فيما يتعلق بالأساس الطوطمي للذئبة الرومانية، قارن كابوس جونز صفحة 59 وما يليها، أما موضوع نقار الخشب في ملحمة رومولوس فتمت مناقشتها من قبل يونج (المصدر السابق، صفحة 382 وما يليها).

المتواضعة، والتي لا يمكن محو دورها من بداية الحكاية، يجب ان تكتفي بدور المرضعة. ولذا فأن الحيوانات تعتبر بدائل مناسبة بشكل خاص، لأن العمليات الجنسية في هذه الحالة تكون واضحة للطفل (يقصد متيسره في خياله)، في حين أن إخفاء هذه العمليات يكون على الأغلب جذر التمرد الطفولي ضد الوالدين، فالتعريض في صندوق وفي الماء يجعل من عملية الولادة عملية لا جنسية، كما في خيال الطفل، اذ يتم اخراج الأطفال من الماء بواسطة طائر اللقلق(*)،(120) الذي يأخذهم بدوره الى الوالدين في

---

(*) طائر اللقلق وعلاقته بالطفل موروث اوربي قديم لازال يستخدم على سبيل التندر.

(120 ) يعرف اللقلق كذلك في علم الأساطير بأنه جالب الأطفال، يشير زيكه (قصص حب السماء، صفحة 26) الى أن البجعة هي من تقوم بهذا الدور في مناطق وبلدان معينة. ان انقاذ البطل عدا عن توفير المزيد من الحماية له ليس بالأمر الغير مألوف، قارن كلكامش، زال وكيكنوس، الذي تم تعريضه من قبل أمه قرب البحر والذي قامت بجعة بتغذيته بينما يطفو أبنه تينيس في صندوق على الماء. ان تفسير الدافع الرئيسي في ملحمة لونجرين يدخل ايضاً في إعتبار من هذا النوع، اذ تنتمي أهم الدوافع الى هذه الدورة الأسطورية: يطفو

سلة. حكاية أو خرافة الحيوان تدعم هذه الفكرة من خلال التأكيد على التشابه في الولادة بين الأنسان والحيوان.

وعلى سبيل الأحتمال يمكن تفسير إقحام هذا الدافع من زاوية المحاكاة الساخرة، اذا أفترضنا ان الطفل يتقبل رواية اللقلق حينما يرويها والديه، متظاهراً بالجهل، لكن ربما يضيف من عنده وارضاءاً لغروره

---

لونجرين في مركب صغير على الماء، الذي تقوم بجعة بسحبه الى الشاطيء، لا يجوز لأحد ان يسأل من أين أتى: اذ يبقى اصل الانسان الجنسي لغزاً لا ينبغي كشفه، ولكن يتم استبداله باقتراح خرافة اللقلق: يتم اصطياد الأطفال من الماء بواسطة البجعة ويجلبون الى الوالدين في صندوق. في مقابل حظر جميع الأستفسارات في ملحمة لونجرين، نجد في أساطير أخرى، أمراً بالتحقيق، أو لغزاً يجب ان يتم حله (في أسطورة اوديب على سبيل المثال). وللتعرف على الدلالة النفسية لخرافة اللقلق، انظر فرويد، النظريات الجنسية الطفولية. أما فيما يتعلق بأسطورة البطل، فقارن مساهمتنا الموسعة في توضيح الدوافع وتفسير ملحمة لونجرين (الفصل 13 من هذا الكتاب).

وكأنـه يقـول: "اذا جلبنـي حيـوان، فمـن الجـائز أنـه ارضعني أيضاً"[121].

وبعد كل ما قيل، وعند متابعة ظاهرة "الانقسام" مرة أخرى، فأن هـذا التفريق بين الأم حاملة الطفل والأم المرضعة – يسعى فعلاً الى ازالة الأم الجسدية تماماً بواسطة استبدالها بحيوان أو مرضعة غريبة عن الطفل – لا يعبر عن اي شيء خلاف الحقيقة التي تقول: ان المرأة المرضعة هي الأم، ويمكن ان نجد هذه العبارة متجسدة في قصة موسى، التي استعرضنا فيما سبق كيفيتها بشكل تراجعي، وعلى وجه الدقة، فأن المرأة التي تكون أمه الفعلية تم أختيارها لتكون مرضعته [ وبشكل مشابه في أسطورة هرقل، كذلك ملحمة اوزيريس وأودونيس المصرية – الفينيقية، حيث يطفوا اوزريس مختبئاً في صندوق اسفل النهر الى فينيقيا، ومن ثم أخيراً نجده يحمل أسم أودونيس، في الوقت

---

(121) انظر فرويد: تحليلات مرض الرهاب لدى الأطفال بعمر خمس سنوات، الكتاب السنوي للتحليل النفسي والمرضى النفسيين، البحوث، ج 1، 1909.

الــذي عينــت الملكــة عشــتروت ايــزيس مرضــعة لأبنها][122].

أما الدوافع الأخرى فلا يمكن الاشارة لها الا بشكل إجمالي اذ تبدو أقل ارتباطاً بالأسطورة بأكملها، مثل الدافع الذي يتضمن تمثيل دور المجنون، والتي تدل في خرافات الحيوانات على الموقف الطفولي العالمي تجاه البالغين، علاوة على ذلك، فهناك، العيوب الجسدية لبعض أبطال الأساطير (مثل زال، اوديب، هيفايستوس) والتي ربما كان المقصود منها التغطية على العيوب الفردية، بالطريقة التي تجعل لوم الأب لهكذا عيوب أو علل محتملة مندمجة في الأسطورة، للتأكيد على ان البطل يعاني من نفس الضعف الذي يجرح كبرياء اي شخص آخر.

---

(122) يقول يوزنر في (جوهر موضوع الملاحم اليونانية، صفحة 53): ان الخلاف بين الملاحم اليونانية المتقدمة والملاحم المتأخرة يتعلق بالأم في اللاهوت التي عادة ما يتم فرضها بصيغة ان تُعَرف بأنها أم الملحمة اليونانية، بينما يتم تخفيض قيمة الأم في التقاليد المحلية الى مرتبة مُربية، وعليه يمكن وبلا تردد اعتبار ثيرو أماً وليست مجرد مُرَبية للإله آريس.

ان تفسير الدلالة النفسية لأسطورة ميلاد البطل لا يمكن ان يكتمل دون التأكيد على العلاقة مع بعض الأمراض النفسية (العقلية)، كذلك فأن القراء الذين لديهم خلفية عن الطب النفسي، يكونوا ربما أكثر من غيرهم قد انبهروا بتفسير الروابط بهذه الطريقة، وفي الواقع فأن أساطير الأبطال متماثلة في كثير من سماتها الأساسية مع الأفكار الوهمية للأشخاص الذهانين ( المصابين بالذُهان)، والذين يعانون من اعراض الأضطهاد والعظمة أو ما يطلق عليها (البارانويا)، اذ ان منظومة الوهم لديهم مركبة بشكل مشابه لبطل الأسطورة الى حد كبير، وبالتالي تشير الى نفس الدوافع النفسية لـ "الرومانسية العائلية العصابية" والتي من المتيسر تحليلها، في حين أن منظومة الأوهام صعبة المنال حتى على مناهج التحليل النفسي، وعلى سبيل المثال، يميل المصاب بجنون العظمة الى نكران والديه الحقيقين والذين يحمل أسمهما، لكنه يعتقد في الواقع انه ابن شخصية ملكية، كان لابد لوالديه من التخلي عنه ولأسباب غامضة، وبالتالي أضطر للأستسلام "لوالديه"

كطفل مُتبنى. في الوقت الذي يرغب أعداءهُ في التمسك بوهمهم الذي يقول أنه من أصل متواضع، من اجل إبطال ادعاءاته المشروعة بالتاج، او الغنى الفاحش[123]. قضايا مثل هذه الحالات غالباً ما أشغلت الأطباء النفسين بل حتى المحاكم[124].

---

(123) ابراهام، المصدر السابق، صفحة 40، ريكلين، المصدر السابق صفحة 74.

(124)يجدر هنا الإشارة بإيجاز الى قضية تتعلق بالسيدة ف. هيرفاي، بسبب بعض الملاحظات النفسية الدقيقة على نفس الموضوع ذكرها أي. بيرغر (صفحة التسلية في الصحيفة الحرة الجديدة، تشرين الثاني، 6، 1904، عدد 14441) والتي يتعلق قسم منها بتفسيرنا لأسطورة البطل. كتب بيرغر التالي: "أنا مقتنع أنها تصدق نفسها وبجدية أنها أبنة غير شرعية لسيدة أرستقراطية روسية. ربما تعود الرغبة في الانتماء بالولادة الى مجتمعات اكثر تميزاً وتألقاً من محيطها الخاص، الى سنوات طفولتها؛ كذلك رغبتها في ان تكون أميرة، أدت الى ازدياد الوهم بأنها ليست ابنة لوالديها، بل أبنة لسيدة نبيلة قامت بإخفاء نسلها الغير شرعي عن الناس من خلال تركها تتربى كأبنة لرجل يمتهن الألعاب البهلوانية، وبعد أن وقعت في شرك الوهم، كان من الطبيعي لها ان تفسر اي كلمة قاسية تسيء لها، او أي ملاحظة عرضية غامضة تناهت الى سمعها، وعلى رأسها ممانعتها النفسية عن ان تكون ابنة هذين الزوجين كانت تجعلها تأكيداً لوهمها

هذه العلاقة الوثيقة بين أسطورة البطل والبنية الوهامية للمصابين بجنون العظمة، استطعنا فعلاً اثباتها من خلال تشخيص الأسطورة بأنها بُنية مصابة بجنون العظمة، وهذا ما أكدته محتوياتها، وان الحقيقة البارزة المتمثلة في ان المصابين بجنون العظمة يكشفون

---

الرومانسي. ولذلك جعلت الأهمية الأولى في حياتها هو استعادة مركزها الاجتماعي الذي شعرت انها تعرضت بسببه للاحتيال . تظهر سيرتها الذاتية اصرارها الشديد على هذه الفكرة، التي ادت الى نتيجة مأساوية.

ان الصنف الأنثوي من الرومانسية العائلية، كما نراه في هذه الحالة من الجانب غير الاجتماعي، قد وصل الينا كأسطورة بطل في حالات فردية. تقول الحكاية عن الملكة سميراميس المتأخرة (ديودوس، ج 2) ان والدتها، الآلهة ديركيتو، كانت خجلة منها، فقامت بتعريضها في ارض صخرية قاحلة، فقامت حمامات بإطعامها، ووجدها رعاة، الذين قاموا بإعطاء الطفلة الرضيعة الى المشرف على القطعان الملكية، سيماس الذي لم يكن لديه اطفال، اذ قام بتربيتها لتكون أبنته، وهو من سماها سميراميس، والذي يعني (حمامة) في اللغة الآشورية. اما بقية سيرتها المهنية لغاية حكمها الاستبدادي، كان مسألة وقت فقط بفضل طاقتها الذكورية. هناك اساطير تعريض أخرى تروى عن أتالانتي، كيبيلي وآيروب.

بوضوح كامل قصصهم الرومانسية، لم تعد غامضة، اذ ان الابحاث المُعمقة التي اجراها فرويد بينت ان مضامين التخيلات الهستيرية والتي غالباً ما يمكن جعلها واقعية من خلال التحليل، تكون متطابقة حتى في أدق التفاصيل مع شكاوى المرضى المقهورين بمرض جنون العظمة، اضافة الى ذلك، فأن تلك المحتويات المتطابقة تصدف أيضاً كواقع في تدابير المنحرفين لأجل اشباع رغباتهم[125].

أما الخاصية الأنانية في البنية النفسية المتكاملة للمصاب بجنون العظمة فيمكن كشفها بوضوح، ذلك ان التعظيم الذي يدَعيه لوالديه، هو مجرد وسيلة لتمجيد نفسه، وكقاعدة عامة، فأن محور – منظومته الكاملة يعتبر ببساطة ذروة الرومانسية العائلية، وكأنه يقول بعبارة جادة: أنا الإمبراطور (أو الإله). أن التأمل في رمزية الأحلام والأساطير، والتي هي رمزية كل

(125) فرويد: ثلاث مساهمات في النظرية الجنسية، دراسة الأمراض العصبية والعقلية، رقم 6، كذلك: علم الطب النفسي في الحياة اليومية، ط 2، برلين. كذلك: الخيالات الهستيرية وعلاقتها بالازدواجية.

الأوهام بما في ذلك الهَوَس (قوة الخيال المرضية)، كل ذلك يُوَظف في ان يضع البطل نفسه مكان الأب، تماماً كما ينهي تمرده ضد الأب، وهذا يمكن ان يتم في كلتا الحالتين، لأن الصراع مع الأب – الذي يعود الى اخفاء العمليات الجنسية حسب آخر البحوث – ينتهي عند اللحظة التي يصبح فيها الصبي البالغ نفسه أباً. كذا فأن التشبث في أن يضع المصاب بجنون العظمة نفسه مكان الأب، على سبيل المثال يكون أباً بنفسه، يظهر كأنه تصوير لعذر عام يستخدمه الأطفال الصغار حين يوبخون على فرط الفضول لديهم وكأن لسان حالهم يقول: انتظر فقط حتى أصبحَ أباً وسأعرف الجواب بنفسي.

الى جانب المصاب بجنون العظمة، يجب أيضاً ابراز نظيره اللاجتماعي، ففي حالة التعبير عن مضامين الخيال المتطابقة، فأن الفرد الهستيري سيقوم بقمعها، يقابله المنحرف الذي يدركها، أو حتى ذلك المريض والمصاب بجنون العظمة السلبي (أي الغير فعال) – وهو الذي يحتاج الى وهمه لتصحيح الواقع الذي لا

يطيقه – يقابله المجرم النشط ذلك الذي يسعى الى تغيير الواقع حسب اجتهاده، وبهذا الإحساس الخاص، فأن هذا النوع يمثله الفوضوي. أما البطل نفسه، كما يتضح من انفصاله عن والديه يبدأ حياته المهنية في معارضة الجيل السابق له، فيكون فجأة متمرد ومجدد وثوري في نفس الوقت، في حين ان كل ثائر هو في الأصل ابن عاصيً ومتمردٌ على أبيه[126] (قارن رأي فرويد فيما يتعلق بتفسير "الحلم الثوري"، كتاب تفسير الأحلام، الطبعة الثانية، صفحة 153).

في حين ان المصاب بجنون العظمة وتماشياً مع شخصيته السلبية، يجب ان يعاني من الاضطهاد

---

(126) وهذا واضح في أساطير الآلهة اليونانية بشكل خاص، حين يجب على الأبن (كرونوس، زيوس) أولاً إزالة الأب قبل ان يتمكن من تولي الحكم بنفسه. وعادة ما تكون صيغة إزالة الأب من خلال اخصائه، والذي تظهر بوضوح التعبير الأقوى عن التمرد ضد الأب، ما يشكل دليلاً على الأصل الجنسي لهذه الحالة. فيما يخص الطابع الانتقامي لعملية الأخصاء، كذلك الدلالة الطفولية لتلك العقدة بالكامل، قارن فرويد، النظريات الجنسية الطفولية وتحليلات الرهاب عند الأطفال بسن خمس سنوات (الكتاب السنوي للتحليلات النفسية).

والأخطاء التي يواجهها من أبيه، والتي سيحاول الهروب منها بوضع نفسه مكان الأب أو الإمبراطور بينما يمتثل الفوضوي وبأخلاص الى تقمص الشخصية البطولية، اذ يصبح في الحال مضطهداً للملوك، ثم يقتل الملك في النهاية، كما هو البطل تماماً. لقد قمنا بتفسير التشابه الملحوظ بين مهنة بعض المجرمين الفوضويين والرومانسية العائلية للبطل والطفل من قبلنا من خلال بعض النماذج الخاصة (انظر "وثائق حول مخيلة الأنقاذ"، الصحيفة المركزية للتحليل النفسي، العدد 1، 1911، صفحة 331، كذلك دور الرومانسية العائلية في سيكولوجية المجرمين، المجلة العالمية للتحليل النفسي الطبي، العدد 1، 1913). وبالتالي فأن الأثر البطولي الحقيقي يتوقف فقط على تحقيق العدالة أو حتى ضرورة الفعل، وبذلك فقط يمكن تأييد البطل والاعجاب به[127]، في حين أن السِمة المَرَضية، حتى في القضايا الجنائية، هي الانتقال المَرَضي للكراهية من

(127) قارن التباين بين شخصية تيل وباريشيدا في مسرحية شيلر: وليام تيل، التي ناقش تفاصيلها المؤلف في كتابه: سفاح القربى.

شخصية الأب الى شخصية الملك الحقيقي، او حتى عدة ملوك، عندما تكون الكراهية أكثر شمولاً وأكثر تشويهاً.

وبما ان البطل يُثنى عليه لفعل معين دون البحث عن دوافعه النفسية، فأن الفوضوي قد يستحق التساهل معه في تشديد العقوبات، ذلك أنه قتل شخصاً مختلفاً تماماً عن الشخص الذي كان ينوي تدميره بالفعل، على الرغم من توفر الدافع السياسي القوي على ما يبدو[128].

دعونا نتوقف حالياً عند ذلك الخط الحدوي الرفيع، حيث تلتقي محتويات التخيلات الطفولية البريئة مع التخيلات العصابية المكبوتة في اللاشعور، وهياكل الأساطير الشعرية، وأشكال معينة من الأمراض العقلية والجريمة، بالقرب من بعضها، رغم التباعد بينها من حيث الشكل والقوى الديناميكية. لذا علينا أن نقاوم

---

(128) قارن في هذا الصدد محاولة القتل الفاشلة التي قامت بها تاتيانا لينوتيف، وما خلفها من الإضاءات في رواية "الحاجة الجنسية" لـ فيتلز (فينيا ولايبزج، 1909).

الأغراء بأتباع أحد هذه الطرق المتباينة فقط حتى لا تؤدي بنا الى عوالم مختلفة، في الوقت الذي لا يمكن ان ترشدنا الى السبيل القويم.

# نبذة عن المترجم

الأسم: حسن هادي الأسدي.

الميلاد: طويريج – 1964.

التعليم: خريج هندسة البناء والانشاءات - الجامعة التكنولوجية – 1987.

اللغات: يجيد اللغات الالمانية والانجليزية اضافة الى العربية.

عاد الى العراق عام 2003 بعد هجرة الى المانيا، انسحب من العمل السياسي عام 2004 لعدم قناعته بطريقة ادارة الدولة. ساهم في تطوير الأقتصاد والاستثمار من خلال العديد من الدراسات والمقالات والمقابلات الاعلامية اضافة الى عمله الرئيسي في مجال المقاولات والاستثمار.

فلو آمنّا بحاجة الأنسان في بداية الحضارة الى الأسطورة لتفسير الغموض الذي يحيط بعالمه وان ذلك كان أقصى ما توصل إليه من العلوم في محاولة تنظيم وتبسيط أموره الحياتية فهل إنتهى يا ترى اليوم عصر الأسطورة؟ اليوم في عصر التلسكوب الليزري والمحطات الفضائية والأقمار الصناعية التي ساعدت على جعل تلك الظواهر الكونية مسائل يمكن لطالب لم يكمل تعليمه الابتدائي ان يجيب عليها فهل لا زالت الأسطورة قائمة اليوم؟



